مجلة الجامعة القاسمية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

المجلد: 3، العدد: 2

جمادى الآخرة 1446 هـ / ديسمبر 2024م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات: 2958-230X

AQU Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 3 No. 2, pp. 73-122 (Dec.2024)
DOI:10.52747/aqujall.3.2.359
E-ISSN: 2958-2318/ ISSN: 2958-230X

النّزعة الوجدانيّة في قصائد أحمد محمّد آل خليفة الوطنيّة

THE EMOTIONAL INCLINATION IN THE NATIONAL POEMS OF AHMAD MUHAMMAD AL KHALIFA[1]

خليفة ياسين بن عربيّ

كلّية الآداب ، جامعة البحرين، مملكة البحرين

Khalifa Yassin Ben Arabi

College of Arts, University of Bahrain, Kingdom of Bahrain

الملخّص:

تسعى هذه الدّراسة إلى إجراء حفر معرفيّ في حضور الملمح الوجدانيّ في نصوص الشّاعر البحرينيّ أحمد محمّد آل خليفة، معتمدةً على نصوصه الشّعريّة المنشورة في دواوينه الآتية: أغاني البحرين وهجير وسراب وبقايا الغدران وغيوم في الصّيف، وقد تناولت الموضوع من خلال طرح مقدّمات تأسيسيّة تناقش مفاهيم الاتّجاه الوجدانيّ وعلاقته بالمدرسة الرّومانسيّة الغربيّة، كما ناقشت مفهوم الوطن ومعانيه في السّياقات الاجتماعيّة والأدبيّة، ثمّ تناولت الدّراسة ملامح الوجدانيّة في قصائد الشّاعر البحرينيّ أحمد محمّد آل خليفة الوطنيّة، مركّزة على ثلاثة محاور بارزة فيه، الأوّل ما يتعلّق بالالتزام الفكريّ في ضمير الشّاعر إذ يرى نفسه جزءًا شريكًا لهذا الوطن الّذي شاطره حياته ووجوده وكيانه، فعبّر عن ذلك الامتزاج بينه وبين وطنه، والثّاني وجدانيّة الواقع على أساس وجود ارتباط بين الواقع والتّعبير الوجدانيّ، إذ إنّ للواقع الاجتماعيّ أثرًا مباشرًا على ذات الشّاعر، والثّالث علاقة المرأة بالوطن على اعتبار أنّ المرأة هي المكوّن الأعمق للتّراكمات الوجدانيّة، وأنّ لها تلازمًا رمزيًّا في التّعبير عن حبّ الشّاعر. وقد سلّطت الدّراسة الضّوء قبل ذلك كله على جانب مبتسر من سيرة الشّاعر.

(1) Article received: August 2024, article accepted: October 2024.

Abstract:
This study aims to conduct an in-depth exploration of the presence of emotional characteristics in the texts of the Bahraini poet Ahmad Muhammad Al Khalifa, relying on his poetic works published in the following collections: *Songs of Bahrain*, *Heat*, *Mirage*, *Remnants of Brooks*, and *Clouds in Summer*. The research addresses the topic by presenting foundational introductions that discuss the concepts of the emotional inclination and its relationship with the Western Romantic school. It also examines the concept of the homeland and its meanings within social and literary contexts. Subsequently, the study analyzes the features of emotionalism in the national poems of Ahmad Muhammad Al Khalifa, focusing on three prominent axes. The first axis pertains to the intellectual commitment within the poet's conscience, where he perceives himself as an integral partner of the homeland that shares his life, existence, and identity, expressing this fusion between himself and his nation. The second axis deals with the emotionalism of reality, based on the connection between reality and emotional expression, as social reality has a direct impact on the poet's self. The third axis explores the relationship between woman and homeland, considering that woman is the deepest component of emotional accumulations and has a symbolic correlation in expressing the poet's love. Prior to these analyses, the study sheds light on a concise aspect of the poet's biography.

الكلمات الدالة: شعر، الوجدانيّة، الوطن.
Keywords: Poetry, Emotionalism, Homeland.

مقدّمة:

تخضع عمليّة الإنتاج الشّعريّ إلى شروط إبداعيّة خاصّة يتمّ من خلالها العمل على تأويله، إلّا أنّ الشّعر بوصفه منتجًا أدبيًّا نابعًا من ذات صاحبه له تعلّق غائر بالدّاخل الوجدانيّ للشّاعر، ممّا حدا بالدّارسين إلى اجتراح تفاصيل تلك الوجدانيّة في تجارب العديد من الشّعراء ضمن اتّجاه أدبيّ عريض ومهمّ.

ويعدّ الشّاعر البحرينيّ أحمد محمّد آل خليفة أحد أبرز الشّعراء العرب الّذين كان لهم دور مهمّ في إرساء ملامح النّهضة الشّعريّة الحديثة في منطقة الخليج العربيّ، وهو من الشّعراء الّذين تعلّقوا بالنّزعة الوجدانيّة منذ المراحل الأولى لها في المنطقة في خمسينيّات وستّينيّات القرن الماضي، حينما كان التّأثّر بالشّعر الوجدانيّ لدى الشّعراء العرب الكبار وببعض ملامح المدرسة الرّومانسيّة الغربيّة، أمرًا من شروط الحتميّة التاريخيّة آنذاك، وقد استطاع الشّاعر أن يخلق له خطًّا خاصًّا في ذلك الاتّجاه معتمدًا على القصيدة العموديّة، مكوّنًا له خصوصيّة مستقلّة حتّى في الأغراض الّتي قد يظنّ أنّها أبعد الأغراض الشّعريّة عن الوجدانيّة كالشّعر الوطنيّ الّذي نحن بصدد دراسته.

تكمن أهمّيّة تلك الدّراسة في ناحيتين رئيستين: الأولى، أنّها تتناول تجربة شعريّة لأحد شعراء البحرين والخليج العربيّ الرّوّاد الّذين كان لهم دور مهمّ في إبراز وتطوّر الشّعر في البحرين والمنطقة ضمن امتدادات النّهضة الأدبيّة والثّقافيّة العربيّة الكبرى، ممّا تعرض وصفًا لشيء من ملامح تلك المرحلة. والثّانية، أنّها تعقد تحليلًا نقديًّا لنزعة أدبيّة تعدّ المرتكز لتجارب التّحديث الشّعريّة العربيّة منذ مدرسة الدّيوان وما تلاها من تجارب شعريّة رائدة، ونعني بذلك النّزعة الوجدانيّة الّتي أصبحت سمةً شكّلت معظم التّجارب الأدبيّة والشّعريّة الّتي طالتها يد التّجديد.

اعتمدت هذه الورقة المنهج الوصفيّ التّحليليّ، إذ سعت إلى تفكيك الحالة الذّاتيّة لدى الشّاعر أحمد محمّد آل خليفة ودراسة سياقات الوجدانيّة في قصائده الوطنيّة، من خلال تحليل عناصر الحضور الوجدانيّ، وتفكيك تداعياتها، ثمّ تفسير أبعادها النّفسيّة المختلفة، ومحاولة الوصول إلى أبعاد قيميّة ذات أحكام محدّدة للتّجربة بشكل عامّ.

لقد أفادت هذه الدّراسة من مجموعة من الدّراسات الّتي تناولت شعر الشّاعر أحمد محمّد آل خليفة، منها ما كان مبتسرًا ومنها ما كان معمّقًا في التّحليل والاستقراء، ومن تلك الدّراسات الّتي تناولت تجربة الشّاعر بشيء من الإيجاز ما ذكره عبدالله محمّد شباط في كتاب "أدباء وأديبات من الخليج العربيّ"، وما أشار إليه عبدالله محمّد الطّائيّ في كتاب "الأدب المعاصر في الخليج العربيّ"، بالإضافة إلى قراءة أكثر شموليّة أوردها علويّ هاشم الهاشميّ في كتاب " شعراء البحرين المعاصرون .. كشّاف تحليليّ مصوّر"، في حين أنّ الهاشميّ أورد قراءة معمّقة في كتابه "ضفّتان لنهر واحد .. دراسة نظريّة وتطبيقيّة في شعر البحرين المعاصر"، ولعلّ أهمّ دراسة عن الشّاعر الكتاب الّذي ضمّ مجموعة من الدّراسات لباحثين متخصّصين ضمن ندوة " شعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. الطّبيعة والذّاكرة" الّتي عقدتها كليّة الآداب بجامعة البحرين عام 2005م، تحت إشراف إبراهيم عبدالله غلوم. ولعلّ دراستنا هذه تفترق عن مجموع تلك الدّراسات أنّها ركّزتْ على الاتّجاه الوجدانيّ لدى الشّاعر بشكل خاصّ، بالإضافة إلى تحليل القصائد الوطنيّة فقط، دون النّصوص الّتي يغلب الظّنّ على وجدانيّتها كشعر الغزل أو الرّثاء أو الشّكوى أو غيرها.

إضاءة تاريخيّة:

هو الشّاعر الشّيخ أحمد بن محمّد بن خليفة بن حمد بن محمّد بن خليفة بن سلمان بن أحمد بن محمّد بن خليفة آل خليفة، وُلد في قرية الجسرة الواقعة على السّاحل الغربيّ لجزيرة البحرين عام 1929م[1]، وينتمي الشّاعر إلى الأسرة الخليفيّة الحاكمة في البحرين، وقد تلقّى دروسه الأولى على أيدي بعض العلماء كالشّيخ يوسف الصّدّيقيّ[2]، وتعلّم

(1) يُنظر: العمّاريّ، مبارك عمرو: ديوان الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. شعر نبطيّ، ط1: المطبعة الحكوميّة بهيئة شؤون الإعلام، البحرين، 2012م، 6.

(2) هو أبو محمّد يوسف بن أحمد بن محمّد الصّدّيقيّ، أحد أهمّ علماء الدّين في البحرين، ولد في قرية الزّلّاق عام 1919م وتوفّي عام 2010م، عالم وأديب وشاعر نهل العلم من كبار العلماء في الأحساء من آل المبارك وآل عمير وآل عرفج والملّا، كما أنهى دراسته بعد ذلك في الأزهر الشريف في مصر، وقد مارس التّدريس والخطابة ثمّ عمِل في القضاء حتّى آخر حياته، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير من طلبة العلم في البحرين، كما كانت علاقاته بحكّام البحرين وثيقة جدا إذ

الشّعر وأصوله على يد الشّاعر البحرينيّ الكبير إبراهيم العريّض[1]، وقد نشر نصوصه الشّعريّة في عدد من الصّحف والمجلّات العربيّة منذ أربعينيّات القرن الماضي، وأصدر أوّل مجموعة شعريّة له عام 1955بعنوان "أغاني البحرين"، ثمّ تتالت الإصدارات ليصدر "هجير وسراب" 1962م، و"بقايا الغدران" 1966م، و"القمر والنّخيل" 1978م، و"العناقيد الأربعة" 1980م، وغيوم في الصّيف" 1988م، و"عبير الوادي" 2001م، و"المجموعة الكاملة" 2002م، و"أنفاس الرّياحين" و"أوبريت الفاتح" 2003م[2]، كما أنّ للشّاعر تجربة عريضة في كتابة القصيدة النبطيّة.

يعدّ الشّاعر أحد الشّعراء المحدثين الّذين ظلّوا متمسّكين بعمود الشّعر القديم، وذلك إيمانًا منه بضرورة الحفاظ على الموروث العربيّ الأصيل، وقد يعود هذا أيضًا إلى شخصيّته المتشبّثة بالتّقاليد الّتي ورثها منذ القديم[3].

تأثّر الشّاعر في بداياته تأثّرًا كبيرًا بالشّعر الوجدانيّ والقوميّ والوصفيّ على سمت تجربة علي محمود طه وعمر أبي ريشة، كما يحتلّ الشّعر القوميّ مساحة عريضة في تجربته، خصوصًا وأنّه قد واكب الحركات التّحرّريّة في الوطن العربيّ في مصر والجزائر وغيرهما،

كانوا يقدّرونه ويعرفون له فضله ومكانته، وله شعر كثير يتّسم بالرّصانة والقوّة. يُنظر في ترجمته: الصّدّيقيّ، عبدالنّاصر محمّد، القاضي الأديب الشّيخ يوسف بن أحمد الصّدّيقيّ، ط1: البحرين، مركز عيسى الثّقافيّ، 2021.

(1) يُنظر: سرحان، منصور محمّد: معجم المؤلّفين البحرينيّين، ط1، مركز عيسى الثّقافيّ، البحرين، 1433هـ = 2012م، 104 – 103.

(2) المرجع السّابق. وإبراهيم العريّض هو إبراهيم عبدالحسين العريّض شاعر من أهمّ الشعراء في البحرين وأحد قادة الحركة الأدبيّة البحرينيّة في القرن العشرين، وُلد في بومبي عام 1908م وتوفّي في البحرين عام 2002م، أتقن العريّض اللّغة الفارسيّة والإنجليزيّة والأردية وترجم منها، وقد أسّس مدرسة خاصّة تعدّ من أوائل المدارس آنّي أسهمت في تعزيز التّعليم الأهليّ في البحرين، والعريّض من أكبر وأهمّ شعراء البحرين حيث كان أحد مؤسّسي المسرح الشّعريّ البحرينيّ هو والشّاعر عبدالرّحمن المعاودة، وله عدد من الدّواوين الشّعريّة، وشعره بلغ الآفاق إذ كتب عن تجربته الشّعريّة الكثير من النّقّاد الكبار كأحمد زكي أبو شادي، ومارون عبّود وأحمد الجدع وغيرهم. يُنظر في ترجمته: الجدع، أحمد: إبراهيم العريّض شاعر من البحرين، ط3، دار الضّياء للنّشر والتّوزيع، الأردن، 1407هـ = 1986م.

(3) يُنظر: شباط، عبدالله محمّد: أدباء وأديبات من الخليج العربيّ، ط2: الدّار الوطنيّة الجديدة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1420هـ = 1999م، 59.

بالإضافة إلى القضيّة الفلسطينيّة الّتي شغلت حيّزًا كبيرًا من تجربته[1]، كما أنّ لمظاهر الطّبيعة حضورًا ذا دلالة عميقة لديه[2].

تبرز الملامح الإبداعيّة لتجربة الشّاعر في شطرين بارزين، شطر ذاتيّ يتمثّل في قصائد الحبّ والطّبيعة يحلّق فيه بصورة وجدانيّة كما الشّعراء الرّومانسيّين، وشطرٌ آخر موضوعيّ متمثّل في شعر المناسبات، "وقد نتج عن ذلك الانشطار المضمونيّ بين الذّات والموضوع مظاهر انشطاريّة أخرى على مستوى الشّكل الفنّيّ في تجربة الشّيخ أحمد، فقد تميّزت القصائد الذّاتيّة ذات النّفَس الرّومانسيّ الواضح والعاطفة النّوعيّة والهيام بمظاهر الطّبيعة بملامح من التّجديد والغنى على مستوى المخيّلة والإيقاع، فكان الخيال محلّقًا وجريئًا والأوزان مدوّرةً قصيرة أو مجزوءة أو مشطورة والقوافي متنوّعة، في حين تميّزت القصائد الموضوعيّة ذات البعد الخارجيّ المتمثّل في إطار المناسبات بنمطيّة اللّغة وقلّة حظّها من الخيال والتّصوير الفنّيّ، وبانضباطها الواضح لقيود الأوزان التّقليديّة المألوفة"[3]، **وفي العموم فإنّ** النّتاج الشّعريّ الكبير الّذي خلّفه الشّاعر وراءه، والمرحلة الزمنيّة الّتي برز فيها شعره، والدّراسات الكثيرة الّتي تناولت تجربته، تجعله شاعرًا يقف في مصافّ كبار الشّعراء في البحرين والخليج العربيّ بل العالم العربيّ.

حصل الشّاعر على العديد من الأوسمة والجوائز التّقديريّة من أهمّها:

1. وسام التّكريم من قادة دول مجلس التّعاون لدول الخليج العربيّة، 1989م.
2. وسام البحرين من الدّرجة الأولى، 2002م.

---

(1) تمّ حصر جميع نصوصه حول القضية الفلسطينيّة في كتاب كامل، يُنظر: الحادي، إبراهيم محمّد: قدسيّات الشّاعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة، ط2: حقوق الطّبع للمؤلّف، البحرين، 1430هـ = 2009م.

(2) يُنظر: الطّائيّ، عبدالله محمّد: الأدب المعاصر في الخليج العربيّ، ط1: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردنّ، 2016م، 217-219.

(3) الهاشميّ، علويّ: شعراء البحرين المعاصرون .. كشّاف تحليليّ مصوّر، ط1: حقوق الطّبع والنشّر والتّوزيع محفوظة للمؤلّف، البحرين، 1988م، 91.

3. درع وزارة التّربية والتّعليم بمناسبة اليوم العالميّ للكتاب، عن ديوانه "عبير الوادي" كأحد أبرز النتاجات الفكريّة المحليّة المميّزة، 2002م.[1]

توفيّ **الشّاعر** في اليوم التّاسع والعشرين من شهر مارس (آذار) عام 2004م، ودُفن في مقبرة قرية الجسرة بجوار قبر أبيه كما أوصى هو بذلك[2].

دلالات الوجدانية:

في المُدرك اللّغويّ لمعنى الوجدانيّة نجد أنّ مادّة و ج د تتناوب على عدّة معانٍ، "وَجَدَ مطلوبَه والشّيءَ يجده وُجودًا ... وأَوجَده اللَّهُ أَي أَغناه ... ووَجَد عَلَيْهِ فِي الغَضب يَجُدُ ويَجِدُ وَجْدًا وجِدَةً وموجَدةً ووِجْدانًا: غَضِبَ ... ووَجَدَ بِهِ وَجْداً: فِي الحُبِّ لَا غَيْرُ، وإنه لَيَجِدُ بِفُلَانَةٍ وَجْدًا شَدِيدًا إِذا كَانَ يَهْواها ويُحِبُّها حُبّاً شَدِيدًا"[3]، وقد أشار ابن فارس إلى أنّ "الواو والجيم والدّال: يدلّ على أصل واحد، وهو الشّيء يلفيه. ووَجدْتُ الضّالة وِجدانًا. (وحكى بعضهم: وجدت في الغضب وِجدانًا). وأنشد من [الوافر]:

كِلَانَا رَدَّ صاحِبَه بِيَأْسٍ عَلَىٰ حَنَقٍ وَوِجْدَانٍ شَدِيدِ"[4]

يتّضح من خلال التّعريفيين المعجميّين الآنفين أنّ مادّة (وَ جَ دَ) في مختلِف معانيها تتّجه نحو معنى الوقوع على الشّيء وإلفائه، وهذا الشّيء قد يكون ماديًّا وقد يكون معنويًّا، كما أنّ اتّجاه المصدر "وجدان" يرمز إلى الشّقّ المعنويّ، أو ما يتعلّق بالجانب القلبيّ، وذلك بحسب التّفسير الفلسفيّ للكلمة، إذ إنّها "مجموع الظّواهر الوجدانيّة من لذّة وألم وانفعال .. والوجدانيّ ما له صلةٌ بالوجدانيّات كاللّذة والألم، ويقابل الفكريّ والنّزوعيّ من أحوال

(1) يُنظر: سرحان، منصور محمّد: الشّيخ أحمد محمّد آل خليفة .. شاعر الطّبيعة والجمال، ط1: اللّجنة الأهليّة لتكريم روّاد الفكر والإبداع في مملكة البحرين، البحرين، 2003م، 17-18.

(2) العمّاريّ، ديوان الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. شعر نبطيّ، 8.

(3) ابن منظور، جمال الدّين: لسان العرب، ط3: دار صادر، بيروت، 1414هـ - 1994م، 3/445-446.

(4) ابن زكريّا، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللّغة. تحقيق: عبدالسّلام هارون، ط1: دار الجيل، بيروت: 1411هـ = 1991م، 6/86-87. والبيت لزياد بن منقذ العدويّ، يُنظر: السّكّريّ، أبو سعيد: ديوان الهذليّين. تحقيق مجموعة من المحقّقين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ - 1965م، 2: 67.

النّفس، والوجدانيّة استعداد الفرد لمعاناة المشاعر والانفعالات"[1]، وعليه فإنّ الوجدانيّة في الأدب هي "التّأثّريّة والانفعاليّة الشّديدة الحساسيّة بالألم واللّذّة"[2]، والاتّجاه الوجدانيّ هو ذلك الّذي يعنى بشكل أكبر بالجانب التّأثّريّ للمشاعر، والّذي يهدف فيه صاحبه إلى أن ينفذ إلى عاطفة المتلقّي ومداركه الشّعوريّة ليؤثّر في كيانه، ويُشعره بشكل غائر بشعور صاحب النّصّ من ألم ولذّة وفرح وحزن ... إلخ.

ويعدّ الاتّجاه الوجدانيّ – إجرائيًّا – اتّجاها ضاربًا بجذوره في تاريخ أدبنا العربيّ القديم، على اعتبار أنّ التّداعيات الوجدانيّة تعدّ خصائص تكوينيّة في بنية النّصّ الشّعريّ العربيّ، فالشّاعر إنّما يحاول أن يعبّر عمّا يعمل في داخله من مشاعر وأحاسيس، كما تبدو العلاقة بين لفظة (الشّعر) ولفظة (المشاعر) معقودةً في المعنى، ففي اللّسان: "الشّعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنّه يشعر ما لا يشعر غيره"[3]، وهذا ما نجده حاضرًا بوضوح في شعرنا العربيّ القديم، حيث تمتزج المشّاعر والأحاسيس في نصوصهم بشكل واضح، وفي هذا يعبّر ابن طباطبا عن العلاقة النّفسيّة بين الشّعر والمشاعر والأحاسيس بقوله: "وعلّة كلّ حَسَن مقبولٍ الاعتدالُ، كما أنّ علّة كلّ قبيحٍ منفيٍّ الاضطرابُ. والنّفْس تسكن إلى كلّ ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه، ولها أحوال تتصرّف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها؛ اهتزّت له وحَدَثَتْ لها أريحيَّةٌ وطَرَب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قَلِقَت واستوحشَتْ"[4]، وتتّضح هذه الوجدانيّة بشكل جليّ في بعض الأغراض الشّعريّة المرتبطة بها، كالغزل والرّثاء والشّكوى وغيرها، ولك أن تتأمّل على سبيل المثال نصوص الرّثاء عند الخنساء، الّتي تفيض إحساسًا ووجدانيّة، "وإذا كانت استمراريّة الفجيعة لدى الخنساء قد دفعتها إلى التّغنّي بالحزن، وإذا كان فقدانها لأخيها قد

(1) مجمع اللّغة العربيّة: المُعجم الفلسفيّ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1403هـ – 1983م، 210–211.

(2) عبدالنّور، جبور: المعجم الأدبيّ، ط1: دار العلم للملايين، بيروت، 1979، 289.

(3) ابن منظور، لسان العرب، 4: 410.

(4) ابن طباطبا، أبو الحسن محمّد بن أحمد: عيار الشّعر، تحقيق: عبّاس عبدالسّاتر، ط1: دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ – 1982م، 21.

ملأ حياتها بالشّكوى واليأس والدّموع، فإنّ الغربة السّاحقة ومرارة الاستكشاف والدّهش الميتافيزيقيّ والاغتباط المأساويّ العفويّ المعذّب بمطلق ونهاية قصوى؛ لم تلتمع إلّا في وجدان الشّاعرة وحدسها، ولم تشرق إلّا مع أحلامها البعيدة وانغلاقها الذّاتيّ المتفتّح على الأعماق، ذلك كلّه قد جعل من الحزن إيقاعًا ومن **اليأس** غايةً تعبق بالحنين والحبّ والشّفافية والانسجام"[1]، والأمر ذاته يقال في المقدّمات الطّلليّة الّتي كان الشّاعر الجاهليّ **غالبًا ما** يبدأ نصوصه بها بالوقوف على الأطلال **وكثيرًا من قرن ذلك** بتذكّر الحبيبة والتّغزّل بها، إنّ هذه المطالع إنّما تحاول أن تنفذ بشكل مباشر إلى ذات المتلقّي ومشاعره لتثير إحساسه، وتلامس ذاته الدّاخليّة لتقبّل النّصّ؛ لأنّ "الّطابع المأساويّ كان هو المهيمن على الوجدان العربيّ بشكل عامّ، ورنّة البكاء السّارية في الطّلليّة تدغدغ كوامن **اللاشعور** في ذلك الوجدان، فتبعثها وتثيرها، وتوقظ ما فيها من حزن عميق مكبوت"[2].

أمّا في عصر النهضة الحديثة فقد أضحى الاتّجاه الوجدانيّ ذا طابع أكثر شموليّة وإلحاحًا بسبب الوضع الثّقافيّ والسّياسيّ الّذي مرّت به الأمّة العربيّة، وذلك بعد الانفتاح الحضاريّ والفكريّ مع الغرب من جانب، وما آلت إليه الأمّة العربيّة من تردٍّ سياسيّ جرّاء السّيطرة والاحتلال الغربيّ وما أفرزه من رغبات بارزة للتّحرّر والانعتاق، "وفي ظلّ ذلك نشأتْ طائفة من الأدباء بلغتْ حدًّا طيّبًا من الثّقافة والوعي، ... حتّى **ردّتهم** المعرفة والحريّة النسبيّة والتّطلّع إلى المشاركة في الكفاح من أجل الاستقلال القوميّ والرّقيّ الحضاريّ. والتفت هؤلاء الأدباء — من شعراء وقصّاصين وكُتّاب — إلى وجدانهم، يرقبون من خلاله عالمهم المتغيّر، ويعبّرون عن تجاربهم الفرديّة ومشاعرهم الذّاتيّة بأساليب فيها كثير من الحدّة العاطفيّة والخيال الجامح والصور المستحدثة والمعجم الجديد"[3]، وقد بان ذلك الأثر في مجموع الأغراض الّتي تناولها هؤلاء الشّعراء حتّى لو كانت أبعد ما يُظنّ عن الوجدانيّة،

(1) ميخائيل، مطانيوس: دراسات في الشّعر العربيّ الحديث، ط1: المكتبة العصريّة، بيروت، 1968م، 90.

(2) خليل، أحمد محمود: في النّقد الجماليّ .. رؤية في الشّعر الجاهليّ، ط1: دار الفكر المعاصر، بيروت، 1417هـ - 1996م، 148.

(3) القطّ، عبدالقادر: الاتّجاه الوجدانيّ في الشّعر العربيّ المعاصر، مكتبة الشّباب، القاهرة، 1986م، 9.

ولعلّ هذا الّذي ميّز الحضور الوجدانيّ في الشّعر الحديث عنه في الشّعر القديم، **إذ** كان التّعبير الوجدانيّ قديمًا مرتبطًا بأغراض معيّنة كما سبق وأشرنا، كالغزل والرّثاء والشّكوى وغيرها، في حين أنّ التّعبير الوجدانيّ في الشّعر الحديث أصبح ظاهرة يعبّر الشّاعر من خلالها عن جميع أغراضه الشّعريّة.

هذا وإنّ كثيرًا من الباحثين يردّون بروز هذه الظّاهرة في الشّعر الحديث بالتّأثّر بالتّيّار الرّومانسي الغربيّ وأنّ هذا قد أسهم في إيجاد اتّجاه رومانسيّ عند الشّعراء العرب، "تأثّر شعراء هذا الاتّجاه **بعدّة** عوامل أهمّها: شعر (الرّومانتيكيّين) الأوروبّيّين، والإنجليز بشكل خاصّ"[1]، حتّى إنّ ناقدًا كبيرًا كمحمّد مندور حين يصف التّجارب الشّعريّة العربيّة الوجدانيّة الأولى في العصر الحديث فإنّه يصفها بالرّومانسيّة، فيقول عن المازنيّ: "بينما يستهلّ المازنيّ شبابه عن روح رومانسيّة شاكية باكية"[2]، ويقول عن جبران خليل جبران: "ولقد وجّه جبران خليل جبران شعر المهجر توجيهًا **قويًّا** نحو الرومانسيّة المجنّحة"[3]، ويقول عن نسيب عريضة: "ونسيب عريضة من أولئك المجاهدين الّذين نزحوا إلى العالم الجديد يجالدون في سبيل الحياة ... فإذا هو كخير ما نعرف من شعر رومانتيكيّ، لا شعر أولئك الشّعراء الصغار الّذين اتّخذوا من الرومانتيكيّة مذهبًا **أدبيًّا** يتصنعون فيه النّحيب، بل كبارهم الّذين صدروا عن حالات نفسيّة صادقة"[4]. وعلى الرّغم من أنّ الوجدانيّة – كما سبق وأشرنا – نابعة من صميم الشّعر العربيّ منذ أن كان، إلّا أنّه كذلك من المبالغة أن نُطلق على الشّعراء العرب أنّهم رومانسيّون، أو أن يكون عندنا **اتّجاه** رومانسيّ في أدبنا العربيّ بمجرّد بروز النّص الوجدانيّ أو الانفعاليّ أو العاطفيّ لديهم، **إذ** إنّ المذهب الرّومانسيّ هو مذهب له خصائصه العامّة، وأصوله وملامحه الّتي من الصّعب أن نحكم

(1) حسن، عبدالحفيظ: الرّومانسيّة في الشّعر العربيّ المعاصر.. أبو القاسم الشّابّيّ أنموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م، 14.

(2) مندور، محمّد: فنّ الشّعر، مؤسّسة هنداويّ، المملكة المتّحدة، 2017م، 80.

(3) المصدر السّابق، 82.

(4) مندور، محمّد: في الميزان الجديد، مؤسّسة هنداويّ، المملكة المتّحدة، 2017م، 71.

من خلالها عن شاعر عربيّ بأنّه رومانسيّ بالمعنى العلميّ للمصطلح، لأنّ من مبادئ الرّومانسيّة البارزة "الخروج عن تقاليد الأدب الكلاسيكيّ بل وعلى كلّ أدب ... ... وأصبح الرومانسيّون يجدون في شقائهم نعيمًا ونبلا، وفي الشّعر عزاء عن هذا الشّقاء، وإن كنّا نراهم أيضًا يهربون من أرزاء تلك الحياة، إمّا إلى الطّبيعة، وإمّا إلى إلهٍ عاطفيّ ... وقد بلورت بطريقة تلقائيّة بعض الأصول والاتّجاهات الّتي تميّزت بها مثل ((مرض العصر)) ... فقد أطلقوه على تلك الحالة النّفسيّة الّتي تتولّد من عجز الفرد عن التّوفيق بين القدرة والأمل **اللذَّيْن** يتعارضان فيشقى الفرد بهذا التّعارض، ويظلّ يشقى شقاءً لا مفرّ منه **إلّا** بأحد أمرين: إمّا أن يغيّر الفرد من طبيعته ويتخلّص من آلامه ورغباته، أو تغيير الأشياء من طبائعها بحيث تستجيب لتلك الآمال والرّغبات. ولمّا كان كلا الأمرين عسيرًا إن لم يكن مستحيلا، فإنّ هذا الشّقاء يصبح ضرورة يعبّرون عنها بمرض العصر، ويتّخذون الشّعر وسيلة لشكواهم والأنين منه أو التّمرّد عليه"[1]، ولو أجرينا فحصًا على تجارب الشّعراء الّذين ينسبهم البعض إلى الرّومانسيّة لوجدنا أنّه لا يوجد شاعر متشبّث بتلك المبادئ بحذافيرها لا يخرج عنها، فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى شاعر مثل أبي القاسم الشّابيّ فإنّنا سنجد أنّ بعض ملامح الرّومانسيّة متحقّقة **في شعره**، كنبرة الحزن والتّعبير عن الألم الّذي يقترب من شبه اليأس، لكنّه بالمقابل له قصائد في التّفاؤل وحبّ الحياة، فهو الّذي قال:

خُلقتَ طَليقاً كَطَيفِ النَّسيمِ
وحُرًّا كَنُورِ الضُّحى في سَمَاهْ
تُغَرِّدُ كالطَّيرِ أَيْنَ اندفعتَ
وتشدو بما شاءَ وَحْيُ الإِلهْ
وتَمْرَحُ بَيْنَ وُرودِ الصَّباحِ
وتنعَمُ بالنُّورِ أَنَّى تَرَاهْ
وتَمْشي كما شِئْتَ بَيْنَ المروجِ

(1) مندور، محمّد: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، 67-68.

وتَقْطُفُ وَرْدَ الرُّبى في رُبَاهْ
كذا صاغكَ اللهُ يا ابنَ الوُجُودِ
وألّقتْكَ في الكونِ هذي الحيَاهْ[1]

بل هو الّذي قال عن شعره:

شِعْرِي نُفاثَةُ صَدْرِي
إنْ جاشَ فيهِ شُعوري
لولاهُ مَا انجابَ عَنّي
غَيْمُ الحيَاةِ الخطيرِ
ولا وجدتُ اكتئابي
ولا وجدتُ سُروري
بِهِ تَراني حزيناً
أَبكي بدمعٍ غزيرِ
بهِ تراني طروباً
أَجرُّ ذَيل حُبوري[2].

وكذلك لو اطّلعنا على نتاج الشّعراء العرب المنسوبين للرّومانسيّة سنجد أنّهم لم يبلغوا في نصوصهم حدّ التّشاؤم واليأس المبالغ فيها، ولم ينعزلوا عن الحياة، ولم يعترفوا بإصابتهم بمتلازمة مرض العصر، بل نوّعوا في مواضيعهم، وشاركوا الجموع في همومهم وقضاياهم وخاصّة القضايا العربيّة الكبرى، وكانوا جزءًا من نسيج المجتمعات العربيّة **كافّة**.

إنّ الملمح الأبرز الّذي يلتقي فيه **بعض** شعراؤنا العرب مع الرّومانسيّة الغربيّة هو الملمح الوجدانيّ، وهو أحد سمات الرّومانسية، "ولهذا آثرنا أن نعدل عن مصطلح ((الحركة

(1) طرّاد، مجيد: ديوان أبي القاسم الشّابيّ ورسائله، ط2: دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1415هـ = 1994م، 187-188.

(2) الشّابيّ، أبو القاسم: ديوان أغاني الحياة، ط1: الكتب الشرقيّة ودار مصر للطّباعة، القاهرة، دار 1955، 33.

الرّومانسيّة)) إلى الاتّجاه الوجدانيّ، وإن تسامحنا أحيانًا في استخدمنا المصطلح الأوروبّي كلما اقتربت طبيعة الشّعر أو موقف الشّاعر من طبيعة الرّومانسيّة الأوروبيّة اقترابًا يأذن باستخدامه"[1].

مفهوم الوطن:

لا شكّ أنّ الوطن بمعانيه المختلفة، هو ركن مهمّ ضمن تلك الجدليّة القائمة بين المجتمع والشّاعر، فليس الوطن سوى ذلك المجتمع الأوّل الّذي كوّن ذات الشّاعر، والمكان الّذي أسّس الارتباط والتّكتّل المجتمعيّ؛ ومن ثمّ فإنّه ركيزة اجتماعيّة رئيسة.

إنّ البنية المجتمعيّة تتكتّل في بقعة المكان الّذي يضمّ في حيّزه تلك العلاقات العريضة بين البشر فيما يسمّى بالوطن، والّذي يقود مفهومه إلى مساحة الأرض أو المنطقة الّتي تكوّن ارتباطَ الشّعب الواحد على أسس تاريخيّة بالدّرجة الأولى، إضافة إلى أسس ثقافيّة وجغرافيّة، حيث تلتئم جماعة النّاس الّتي تسكن هذا الوطن تحت القواسم النّفسيّة والثّقافيّة والفكريّة بوصفها روابط معنويّة، كما أنّ للعلاقات الماديّة بُعدًا عميقًا أيضًا يتمثّل في الموقع الجغرافيّ والمصالحة الاقتصاديّة، ويمكن القول إنّ الوطن هو ذلك المكان الّذي وُلدت فيه الماهيّة والهويّة الفكريّة للشّعب، ومن ثَمّ فإنّ المعنى قد يتّسع ليتجاوز بقعة الولادة الجغرافيّة للشّخص، ليصل إلى المنطقة الجغرافيّة الّتي وُلدت فيها أمّته.

ولا يمكن أن يُتصوّر وطنٌ بلا شعب، وهذا هو الشّقّ الآخر والأهمّ في معرفة حدود مفهوم الوطن، **إذ** تؤثّر تلك العوامل والرّوابط الآنفة على الإنسان لتخلق نوعًا من العاطفة تجاه الآخر الّذي يشاطره أرضَه، ويقاسمه الحياة على تلك البقعة الجغرافيّة، ومن ثَمّ تتكوّن العلاقات المجتمعيّة الّتي تأخذ حيّز الاتّساع والتّمدّد وبدورها تخلق المساحات الجغرافيّة للوطن.

ولفظة الوطن كانت تستخدم قديمًا بمعنى "مكان الإنسان ومنزله الّذي يُقيم فيه"[2]، ويبدو أنّ هذه اللّفظة في معاجمنا العربيّة القديمة كانت تدلّ على مفهوم أضيق من المفهوم

(1) القطّ، الاتّجاه الوجدانيّ في الشّعر العربيّ المعاصر، 11.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 451/11.

الحاليّ لها، فالمعاجم العربيّة تشير إلى إطلاق لفظة الوطن في جميع أحوالها على البقعة الصّغيرة الضّيّقة، وليست على الوطن الشّاسع حَسَب مفهوم اليوم، ولذا نجد تصاريف الوطن في المعجم محصورة في نحو: "أوطان الغنم والبقر أي مرابضها، ومواطن مكّة أي مواقفها، والميطان هو الموضع الّذي يُوطَّن لترسل منه الخيل في السّباق، والمياطين هي الميادين ... إلخ"[1]، لكن جماع المعنى بين المفهومين هو مكان مقام الإنسان، فكلّ مقام أقام به الإنسان وسكن فيه فهو موطنٌ له.

وإذا علمنا أنّ معادلة الوطن هي مزيج الأرض والإنسان، أدركنا تلك العلاقة الملحّة الّتي تحكم الذّات الإنسانيّة تجاه الأرض والوطن، وهي مسألة قد تدخل في صميم التّكوين الفطريّ لدى الإنسان، أنْ يحبّ موطنه، ويشتاق إليه إذا ابتعد عنه، ومن ثمّ فإنّ الشّاعر بطبعه وفنّه يعنى بالتعبير عن دواخله وعواطفه في نصوصه، فكلّ ما له تعلّق بذاته ونفسه فإنّ له محلًّا في شعره بلا شك، ولأنّ الوطن على مقربة لصيقة بالذّات، وله غوائر في الرّوح كما سبق وأشرنا؛ فالشّاعر حقيق بأن يسطّر لتلك العلاقة قصائدَ شعريّةً منحوتة من كوامن صدقه.

و**الشّاعر** أحمد محمّد آل خليفة نتاج لصميم البيئة البحرينيّة الصّرفة، وهو حتّى وإن كان يعاقر مضامين عاطفية أو وصفيه لا يكاد ينفكّ عن التأمّل في ذلك الوطن.

إنّنا نجد في شعر أحمد محمّد آل خليفة حشدًا لافتا لتجليّات وجدانيّة بحتة جعلت من النّصّ الوطنيّ عنده ذا سمة خاصّة، يزخر بالقرب الرّوحيّ والعاطفيّ لدى المتلقّي، وهي سمة قصد الشاعر إحداثها في ذات المتلقّي، ليؤسّس تكويناتٍ روحيّة تقترب من الذّات والنّفس، "إنّ تعلّق الشّاعر بوطنه وحبّه لهذا الوطن وعلاقته الحميميّة بالوطن — وهي علاقة هادئة لا توتّرات فيها ولا آلام، علاقة رومانسيّة إيجابيّة حالمة — هذه جعلته يغلّف المشاهد بالحقيقة الذّاتيّة، بحيث يكسوها الجمال والرّوعة، ويتجاهل الجوانب المؤلمة خلف هذا

(1) المصدر السّابق.

الجمال، ويكتفي بالوجه **المُشرق** للوقائع"[1]، هذا الانزياح إلى التّركيز على الجوانب الإيجابيّة فقط إنّما مردّه إلى تلك المشاعر الوجدانيّة الغامرة، الّتي تأبى أن تُحدث شرخًا في المتخيّل المثاليّ لوطنه الحبيب، ولو تأمّلنا في عنوان ديوانه الأوّل وهو "من أغاني البحرين" فإنّنا سنجده يطفح وجدانيّة وغنائيّة، يقول في قصيدة "مفاتن البحرين" وهي أوّل قصيدة في الدّيوان:

عطرٌ تفوح به الرّياض وتعبقُ
وجداولٌ أمواهها تتدفّقُ
وأزاهرٌ نسج الرّبيع وشاحها
فبدتْ ببوتقةِ السّنى تتألّقُ
أنا من يغنّي للرّبيع وإنّني
كم في فؤادي صبوةٌ وتشوّقُ
روحي يخفُّ بها الجمالُ وحسبُها
هذا الجمالُ العبقريُّ المشرقُ
الماءُ يجري والرّياضُ بهيجةٌ
والطّيرُ يشدو والغصونُ تصفّقُ
هذي فراشاتُ الزّهورِ تراقصتْ
طربًا فدنياها الرّبيعُ المونِقُ
ما هذه الأطيافُ ما هذا السّنى؟
ما ذلك الرّوضُ الّذي يتألّقُ؟
عرسُ الطّبيعةِ أم خيال مصوّرٍ
هذا، أم الدّنيا بسحرٍ تشرقُ
.....

(1) المحادين، عبدالحميد: صورة الوطن في شعر أحمد محمّد آل خليفة، ضمن كتاب: شعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة ... الطّبيعة والذّاكرة، جامعة البحرين، اللّجنة الثّقافية بكليّة الآداب، البحرين، 2005م، 31.

هذي **هي** البحرين جنّةُ شاعرٍ
غنّى البيانُ بسحرها والمنطقُ[1]

هنا نرى الشّاعر قد انشدّ إلى المكان الممتدّ المتشكّل في طبيعته الخلاّبة وجماليّاته الفطريّة، ذلك المكان الّذي هام فيه وملك عليه كيانه، والّذي قلّب فيه تفاصيل التّوقّع حتّى ظنّه إحدى تلك الممالك السّاحرة القديمة، فإذا به يحيلنا إلى وطنه البحرين.

ويؤكّد المعنى ذاته بشيء أكثر غورًا في تفاصيل المكان، حين يتنقّل بين مناطق البحرين وربوعها، وذلك في قصيدة "حبّ ووفاء":

ما للغريبِ سوى الذّكرى تهيّجهُ
وفي الكرى يعتريه الهمُّ والتّعبُ
ما "لندنٌ" لي بدارٍ بعدما بعدتْ
عنّي المآذنُ في البحرين والقببُ
كم في "الرّفاعين" آرامٌ مسارحُها
في مهجتي وهواها القصدُ والطّلبُ
وفي "المحرّق" سربٌ للمَهَا تعبتْ
منه الرّماةُ، فعادوا بعدما تعبوا
وعاودتني مهاةٌ ما هتفْتُ بها
إلّا لصوتِ ندائي هزّها الطّربُ
أمضيتُ فجَر شبابي في الغرام وما
كبا جوادي إذا ما العاشقون **كَبَوا**
ملاعبٌ للصِّبا والذكريات لها
تطيرُ بي حيث تهوى تحتيَ الشُّهُبُ[2]

(1) آل خليفة، أحمد محمّد: من أغاني البحرين، ط1: دار الكشّاف للطّباعة والنّشر، بيروت، 1955م، 11-12.
(2) آل خليفة، أحمد محمّد: غيوم في الصّيف، ط1: المطابع الحكوميّة لوزارة الإعلام، البحرين، 1988م، 8.

نجد هنا أنّ التّفاصيل كانت أكثر حضورًا، حيث يحنّ **الشّاعر** إلى مناطق محدّدة كان يفضّلها على أرقى أماكن العالم، فكان المكان الجزئيّ بحضوره العميق مساقًا لحضور الوطن داخل الوجدان الشّعريّ.

وتصل الوجدانيّة العميقة في حديث الشّاعر عن وطنه إلى مستوى النّظرة المثاليّة الحالمة له، **إذ** يتجاوز كلّ ما يمكن أن يكون سلبيًّا إلى التّركيز على الجوانب المضيئة، حتّى حينما يتعرّض لبعض التّفاصيل الّتي **لا تخلو** من الآلام والعذابات كرحلات الغوص المضنية الّتي كان يكابدها الإنسان الخليجيّ قديمًا، كما كان "العمّال الّذين يشتغلون في البحر يتعرّضون لشتّى أنواع السّخرة والاستغلال غير الإنسانيّ، في الوقت الّذي يعانون فيه من سوء المعيشة وفقرها وتخلّف الحياة، والحرمان من مباهجها"[1]، لكنّ **الشّاعر** حين يتعرّض لفكرة الغوص فإنّه يراها بعين أخرى، يقول في قصيدته "بلد الشّراع":

هذي الشّواطي **اللّؤلؤيّةُ** لم تزل
تروي الفخار بلحنها المتفجّرِ
وتقول مجدي في سواعد فتيةٍ
عرفوا الحياة على الشّراع المبحرِ
ساروا مع الفجر الوضيء وشمّروا
عن ساعد الجدّ الّذي لم يقهرِ
نالوا من الآمال كلّ حقيقةٍ
ومشوا إلى تحقيق حلم أكبرِ
غزلوا خيوط المجد من ألق الضّحى
بالعزم في البحر الخضمّ الأزورِ
يتساءلون عن المطامح والعلى
فكأنّهم أرباب مُلك مزهرِ

(1) غلوم، إبراهيم عبدالله: القصّة القصيرة في الخليج العربيّ، الكويت والبحرين .. دراسة نقديّة تأصيليّة، ط2: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 2000م، 156.

لا يحفلون بكلّ صعب في الدُّنى
إنّ الشّجاعة من طباع القسورِ[1]

إنّ الشّاعر هنا يتّجه في تعبيره عن هذا المكوّن الوطنيّ نحو "مستوى الرّؤية الرّومانسيّة الخارجيّة، وهو مستوى سطحيّ يتعامل مع البحر والغوص من الخارج بوصفهما من المشاهد الطّبيعيّة الجميلة الخلّابة الّتي تداعب الحسّ الجماليّ وتدغدغ عاطفة الإعجاب أو الهيام على الطّريقة الرّومانسيّة"[2]، ولا شكّ أنّ ذلك التّعامل هو إفراز حتميّ للوجدانيّة المفرطة في التّعبير الشّعريّ تجاه الوطن ومكوّناته المختلفة.

الالتزام والفكرة

لقد كان للشّعر الوطنيّ طبيعة تاريخيّة والتزام فكريّ في ضمير أحمد محمّد آل خليفة، حيث إنّه يرى نفسه جزءًا شريكًا لهذا الوطن الّذي شاطره حياته ووجوده وكيانه، فهو حين يعبّر عن ذلك الامتزاج بينه وبين وطنه فإنّه يدْفَع بنفسه فداءً في سبيل هذا التّشارك الكونيّ، **إذ** صاغ الوطن مرّة أخرى لكن بلغته الخاصّة، وبأوزانه الخاصّة، وبتعابيره الخاصّة، يقول في قصيدة "حبٌّ ووفاء":

"أوالُ"[3] أنتِ الهوى والحبُّ في كبدي
وأنتِ — إن مِتُّ — يا معبودتي السّببُ
على ترابك **تَرْوِى** كلَّ رابيةٍ
دماؤنا، فترابُ الأرض مختضبُ
هانتْ لك الرّوح في يوم النّزالِ وما

(1) آل خليفة، أحمد محمّد: بقايا الغدران، المطبعة الشّرقية، البحرين، 91-92.

(2) أبو شعير، الرّشيد: الشّعر العربيّ الحديث في منطقة الخليج، ط1: دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق وبيروت، 1418هـ - 1997م، 79 .

(3) أوال: الاسم التّاريخيّ للبحرين قديمًا.

عنكِ الجدودُ وَنَتْ أو صابها النّصبُ[1]

الخطاب هنا للوطن هو خطاب شفيف ينبع من ذاتٍ تتشوّق للوطن، وتجعل منه ذاتًا يخاطبها ويجعل منها محاورًا يتجاذب معه أطراف الأحاديث، ويشتاق إلى كلّ ملامحه ومتعلّقاته، بل يقدّم نفسه قربانًا وفداءً له، ولا تصل العلاقة بين شيئين إلى هذا الحدّ إلّا إذا كان التمازج العاطفيّ بينهما قويًّا.

إنّ الشّاعر هنا يرى أنّ وجوده مرتهنٌ بوطنه، فهو هنا يسعى إلى إحياء ذاته ولغته حين يفنيها في سبيل وطنه، إذ إنّ الوطن هنا هو الذّي يعطي القصيدة امتدادات وجودها وبقائها، وحينئذ فإنّ القصيدة حين تحمل الوطن هنا فهي تجعل من ذلك الوطن لغةً موازية تمتلئ بجميع سياقات القرب الوجدانيّ بالمكان، ومن ثمّ فإنّ هذه العلاقة مع الوطن تُفضي إلى التّماهي النّفسيّ بوصفه جزءًا من طبيعة الإنسان الروحيّة، لذلك تجد الملمح الوجدانيّ طافرًا عند **الشّاعر** في أثناء التّعاطي مع موضوع الوطن، حيث تختلط في نفس الشّاعر خصائص المكان والزّمان والذّكريات الّتي تُنتِج في المدرك الذّهنيّ تقاطيع وجدانيّة بحتة، يقول في قصيدة "ذكرى" الّتي كتبها في إحدى زياراته لقرية "الزّلّاق" الّتي قضى طفولتَه بين أفيائها الجميلة:

هذه ربوتُنا يا طالما
ظلّلَ الحبُّ عليها والحنانْ
لم تزل تروي أناشيد الهوى
عن صِبانا لزهور الأقحوانْ
ربوة وادعةٌ في روضةٍ
جمعتنا في ظلال العنفوانْ
لم تزل تحلم بالعهد الذي
كان فجرًا لليالينا الحسانْ

(1) أبو شعير، الشّعر العربيّ الحديث في منطقة الخليج ، 11.

ما نسيناها على رغم المدى
إنّ ذكراها بقلبينا يصانْ
شهدتْ مولدَ حبّي عندما
خفقت بالحبّ منّا مهجتانْ[1]

إن **الشّاعر** يتعامل مع الوطن بخصوصيّة فريدة تشكّل سياقات جديدة تقود إلى ذلك المنحى الوجدانيّ الكبير، **إذ** قدّم في تجربته ما يتجاوز العشق الرّومنسيّ للتّراب والأرض، ليعقد ألوانًا من الحوار العميق المستقرّ فوق الغنائيّة الطّافرة من النّصوص، واقعًا تحت وطأة اللّحظة التّاريخيّة المولِّدة للمعاناة والشّوق، تلك اللّحظة هي لحظة تتوهّج كلّما استغرق الشّاعر في التّطواف بذكريات الوطن، وبتداعيات الماضي الجميل فيه، والتّغنّي بمفاتنه وجماله، لذا نجده يجري حوارا بينه وبين تفاصيل الطّبيعة في البحرين، يقول في قصيدة (أغنية الصّيف) وهو يخاطب شاطئ البحر:

أيّها الشّاطئ يا مهبط أحلام العذارى
يا رؤى الأنغام يا مهد الهناءات السّكارى
جدّد الآن لنا عهدًا من الماضي توارى
وابعث الفرحة في ليل المحبّين الحيارى
ليلك الفاتن أشواق محبٍّ لحبيبْ
وتباشير الأماني من خيالات المغيبْ
كم تلوّى موجك النّشوان للنّاي الطّروبْ
كلّما غنّت عروس الصّيف في صمت الغروبْ[2]

هنا لا يفتأ الشّاعر يتحاور مع تفاصيل الوطن الصّغيرة الّتي تشكّل ملامحه، فيبوح للشّاطئ بمشاعره وعواطفه، بل يستجديه ويطلب منه أن يجدّد له عهد الماضي، وهنا تأتي

(1) آل خليفة، من أغاني البحرين، 82.
(2) المصدر السّابق، 51.

مفارقة لطيفة، حيث إنّ الشّعراء — في الغالب – اعتادوا أن يبوحوا بشوقهم للوطن وتمنّي عودة أيّامه الجميلة، لكن ما فعله الشّاعر هنا أنّه كان يستجدي تقاطيع جزئيّة من وطنه ويرجوها أن تعيد هي تلك الأيّام، في وجوديّة حاضرة وكأنّه وهو يخاطب تفاصل الوطن يخاطب ذاته، هذه المعادلة المقلوبة توحي بالشّعور الغائر لدى الشّاعر بأنّه ووطنه وكلّ شيء متعلّق به، شيء واحد.

فالمسألة نابعة أساسًا من خلال تجربة إنسانيّة عريضة تبدأ من قبل وجود الشّاعر نفسه، وتمتدّ إلى ما لا نهاية، هذه العلاقة الإنسانيّة فرضت شكلا آخر في التّعامل مع موضوع الوطن، كانت سِمَتُهُ تجاوز المضامين المألوفة كالعشق الحالم للأرض والتّراب، إلى عوالم أرحب من السّجايا الوجدانيّة المتحفّزة لمعاناة الشّاعر وانفعالاته المختلفة مِن حُبّ وألم ولذّة، كلّ ذلك من أثر التّوالد النفسيّ والرّوحيّ، والاكتظاظ التّاريخيّ العميق الّذي يلحّ بكلّ تداعياته.

إنّ تقاطيع الحضور الوجدانيّ تبدو أكثر بروزًا في النّصوص الّتي تطفح حنينًا إلى الوطن، وتشتكي آلام الغربة، وعذابات البُعد، إذ الشّعور بالغربة مسرب نفسيّ يخلص إلى مشاعر الألم والضّيق بسبب الافتراق البائن عن الوطن، لِمَا له من تعلّق عميق في نفس صاحبه، والغربة هي أشدّ حالات الشّتات النّفسيّ الّذي قد يشعر به كلّ مبتعد عن وطنه، وفي هذه الحالة تكون النّفس في أشدّ حالاتها الوجدانيّة حساسية، يقول الشّاعر في قصيدة (الأشواق الحائرة) الّتي كتبها أيّام مرضه بمستشفى "ولنكتن" بلندن:

إذا **لاح** برق من خلال الغمائمِ
تذكّرتُ في البحرين أهل المكارمِ
وتبكي عيوني في البعاد حزينة
فيطفي اللّظى سفح الدّموع **السّواجمِ**
تعللت بالآمال وهي بعيدةٌ
تلوح كما لاح السّرابُ لهائمِ
تقرّبني من كلّ همّ وحسرةٍ
وتبعدني من كلّ خلٍّ منادمِ

وإنّي عليل نازح الدّار أشتكي
صروف الليالي والزّمان مخاصمي
تحاربني الأيّام حتّى كأنّني
غريمٌ وما قد كنت يومًا بغارمِ
.....
فيا لفؤادٍ هزّه الشّوق والنّوى
لدار بها أهل العلا والعزائمِ
يهيم إلى مرأى الأحبّة خاطري
ويشتاق للأوطان شوق الحمائمِ
ومَن فِي فراش السّقم طال سقامه
فليس وإن جنّ الظلام بنائمِ[1]

نجد في ذلك المقطع أنّ **الشّاعر** جعل من وطنه بؤرة الاتّزان الكونيّ في رُوعه، بحيث إنّ غيابه عنه يجعل من الحياة قاسية لا تطاق، وأنّ الشّوق يطعن فؤاده كلّما تذكّره.

وتصل الغربة عند **الشّاعر** إلى حدّ الشّعور بالغربة النّفسيّة، حين يشعر بغربته وهو داخل وطنه، وتُعد الغربة النفسيّة مظهرًا بارزًا من مظاهر الاغتراب؛ فما يتمثّل في النّفس ويعتملُ في ذات الشّاعر من مشاعر وأحاسيس وعواطف جيّاشة وجدل روحيّ بين الشّاعر ونفسه، وكلّ سياقات الصّراع الدّاخليّ لديه، يتجلّى ضمن ذلك الاغتراب الدّاخليّ، ليأتي النّصّ الشّعريّ مجسّدًا لكلّ ذلك، وليكون هو المعبّر عن وجدان الشّاعر من خلال رؤيته الفنّيّة الخاصّة ومحاولته إعادة التّوازن النّفسيّ مع المحيط من حوله، **إذ** إنّ الغربة النّفسيّة تُحدث نوعًا من الخلخلة بينه وبين العالم من حوله.

(1) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 71.

لكنّ الغربة الدّاخليّة عند **الشّاعر** هنا ليس سببها مشاعر السّخط على واقعه، أو شعوره بالظلم أو عدم انتمائه إلى المجتمع الّذي يعيش فيه، بل فقدانه لأيّامه الخوالي، وظعنه عن مواطن صباه، وفراق الأحباب، ومن ثمّ فإنّ غربته الدّاخليّة تتمحور حول الأماكن أكثر من الوطن نفسه، فتراه يقول في ختام قصيدة (ذكر) الّتي كتبها في زيارته لقرية صباه "الزّلّاق" وبعد أن تذكّر فيها مواطن الصّبا، وهام قلبه في حنين أيّامه السّالفة:

هكذا كانت حياتي وانطوتْ
صفحة الماضي **ووراها** الزّمانْ
كيف ماتت أمنياتي في الهوى
آه ما أقسى صروف الحدثانْ[1]

ويقول في قصيدة "أغنية الملّاح الحزين":

من للكئيب الّذي غابتْ أحبّتُهُ
وصار بعد النّوى في شبه مفترقِ
إن غابتْ الشّمس ولّى نحو قريته
يجرّ أقدامه جرًّا على الطّرُقِ
أسيان لا الكأس تسليه بنشوتها
والصّدر عن كلّ أنس شبه منغلقِ
لو تحمل الرّيح جسمي نحو فاتنتي
لكنتُ أشفى من الأوهام والحرقِ
حتّى أبثّ لها وجدي وألثمها
وترجع الرّيح بي ليلا ولم أفقِ[2]

(1) آل خليفة، من أغاني البحرين، 83.
(2) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 170.

نجد أنّ الشّاعر يعبّر عن غربته **عن قريته** الّتي طالما أحبّها، وتغنّى بها، وعرف كلّ فجّ فيها، لكنّه في دخوله ذاك كان مملوءًا بالحزن والأسى لأنّ كلّ جميل فيها قد مرّ، وكلّ من كان يعرف قد غاب، ثمّ تتعمّق الغربة أكثر حين يفتقد حبيبته **فيتمنّى أن** تحمله الرّيح إليها ليبثّ لها أشجانه.

الشّاعر يريد أن يخبرنا أنّ المكان يكتسب وجوده الفعليّ بالوجود الحقيقيّ للبشر، وأعني بالوجود الحقيقيّ هنا الوجود الّذي يتّسم بسمات التّواصل الاجتماعيّ المباشر والعميق، ولأنّ سمة التّواصل هنا قد غابت فقد غاب الوطن بمعناه الحقيقيّ، ومن ثمّ تكرّست الغربة داخل الشّاعر.

إنّ الصّدق النّفسيّ الّذي يمتزج بالتّجارب الشّعريّة المتناولِة موضوع الوطن عند الشّاعر أحمد محمّد آل خليفة هو أبرز ما يميّزها، وإحساس الشّاعر الغزير بمدى التصاقه روحيًّا بالوطن هو الّذي يولّدُ تلك الرّؤية الوجدانيّة، لتختلط بالعامل الاجتماعيّ المتمثّل في الأرض والمجتمع والأهل والتاريخ، والشّاعر يحمّل الوطن بكلّ تفاصيله وعناصره قطعًا من روحه، يتركها هنا وهناك لتدلّ على انتمائه إليه، يقول في قصيدة (الحنين إلى الوطن):

تمرّ بي ذكريات الأمس عاتبةً
كأنّها برق صيف لاح في دجنِ
تعيد لي صور الأحلام من زمنٍ
مع الأحبّة ما أبهاه من زمنِ
فمن لمضنىً يكاد الحبُّ يقتله
شوقًا لمرآى قصور الأهل والوطنِ
كأنّه كلّما طال الحنين به
ورقاءُ تندب فقد الأهل في فننِ
يقول للطّيف: ما لي قد **أراكَ** دجًى
وأنت في سبحات النّور لم **تَرَنِي**

فقال: عذرا فإنّي من نحولك قد
أمسيتَ لي كهلال الشّكّ لم تَبِنِ
متى نؤوب إلى دارٍ أشاهدها
حلمًا، وألقي عصا التّسيار في وطني؟[1]

العودة هنا إلى **ذلك** الوطن وإلى الذّكريات السّالفة، مرتبطة بشعوره بالأمان، ذلك الأمان المتولّد من دفء الماضي ليس إلّا، فالبساطة الّتي كان يعيشها النّاس آنذاك كان تُبعد الذّهن عن التّفكير المعقّد الّذي يُشعر الإنسان بالخوف أحيانًا، على أساس نظريّة أنّ زيادة المعرفة تزيد من قلق الإنسان، ومن ثمّ قد تورثه شيئًا من الحزن، "وقد يبدو غريبا أن تكون المعرفة مصدرًا للحزن، لكن شيئًا من التّأمّل في موقع شاعرنا المعاصر يجعلنا ندرك أنّ بُعدًا من أبعاده يرتبط بقضيّة المعرفة ارتباطًا وثيقًا، ولست أعني هنا (نظريّة المعرفة) التّقليديّة في الفلسفة، وإنّما أعني المعرفة بمعناها الأوّليّ، أي الإلمام بكلّ شيء، فعصرنا عصر الثّقافة العريضة المتشعّبة، والشّاعر المعاصر نموذج للإنسان المثقّف، أو هكذا ينبغي أن يكون"[2].

وجدانيّة الواقع:

إنّ الواقع الاجتماعيّ مرتبط بشكل مباشر بالوجدانيّة الذّاتيّة، على اعتبار أنّ الواقع الاجتماعيّ له أثر مباشر على ذات الشّاعر، وذلك بما يحمله من ذكريات لأزمنةٍ لها تعلّق بتفاصيل الشّاعر الاجتماعيّة؛ "لأنّ الطّبيعة هنا ترتبط بواقع مكانيّ معيّن يحسّ الشّاعر بحنينٍ طاغٍ إليه، وهذا ما يدعوه إلى رسمه رسمًا مطابقًا، أو يصوّره حسب ما هو موجود في ذاكرته"[3]، والذّاكرة هي الّتي تحت كلّ تفاصيل مشاعر الحنين والعاطفة الجيّاشة.

(1) المصدر السّابق، 92-93.

(2) إسماعيل، عزّالدّين: الشّعر العربيّ المعاصر.. قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة، ط3: دار الفكر العربيّ، بيروت، 354 – 355.

(3) الهاشميّ، علويّ: ما قالته النّخلة للبحر، 297.

إنّ غرض الحنين من الأغراض المهمّة الّتي تطرّق إليها الشّاعر العربيّ منذ القدم، حيث ما فتئ يذكر مواطن الأهل، ومرابع الطّفولة، وديار الأحبّة، وكان الشّاعر الجاهليّ القديم قد أسّس من كلّ ذلك بناء قصيدته وعمودها، بدأ بالوقوف على الأطلال وتذكّر مرابع الأحبّة، والشّوق إلى الماضي الجميل، وظلّ الشّاعر العربيّ متعلّقًا بتلك الحالة حتّى الآن، وهي حالة إنسانيّة عامّة، لا يخلو منها شعر أو أيّ نصّ أدبيّ في أيّ ثقافة من الثّقافات.

وقد تعلّق غرض الحنين في التّناول الشّعريّ الحديث بالمصطلح الطّبّيّ النّفسيّ النوستاليجيا (Nostalgia) والّذي يدلّ في معناه العلميّ على "الشّوق إلى الماضي والحنين إلى وضع هيهات أن يعود"[1]، إلّا أنّ هذا المصطلح الحديث المنتزع من التّراث اليونانيّ قد ارتبط ارتباطًا كبيرًا بالعمليّة الإبداعيّة الشّعريّة، إذ اتّجه مفهومه نحو الشّعور الجميل بالسّعادة إثر تذكّر الماضي، مشوب بشعور بالألم نتيجة فقدان ذلك الماضي، أو الاغتراب أو أي شيء يحول بين المرء وذكرياته الجميلة، وقد "تبدو المسافة الفاصلة بين الإحساس بالسّعادة والإحساس بالألم مرهونة بالذّاكرة؛ فالذّاكرة وحدها قادرة على ربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وعليها تعوّل فاعليّة المنظور التّاريخي في الرّصد، ونقطة البدء في الرّصد قد تكشف عن رغبة صاحبها في البقاء في عالم الماضي أو تجاوز الماضي أو التّطلّع لما هو آت في المستقبل، ووعي الذّات بخطر الأزمنة هو الذي يثير آماله وآلامه، وهو يلتقط صورة من كاميرا الذّاكرة"[2]، ومن ثمّ فإنّ النوستالجيا هي الألم اللذيذ، إذ يستلذّ صاحبها باستحضار الماضي وهو يتألّم على مفارقته ورحيله.

ونصوص **الشّاعر** تعجّ بذلك الاستحضار المكتنز للماضي وأمكنته وأزمنته في وطنه الجميل، **إذ** لا يدع فرصة متاحة لذلك إلّا ويورد مشاهد من ذلك الماضي، يقول في قصيدة (بلادي):

---

(1) الشّربينيّ، لطفي: معجم مصطلحات الطّبّ النّفسيّ، مركز تعريب العلوم الصّحيّة ومؤسّسة الكويت للتّقدّم العلميّ الكويت، 123.

(2) الزّيد، إبراهيم عبدالعزيز: نوستالجيا الشّعر. صحيفة ميديل إيست أون لاين، الأحد 2021/2/14، استُرجعت بتاريخ 2024/8/15 من موقع: https://n9.cl/cwjtz

أأنتِ السّحرُ أم أنتِ الجمالُ
لقد تهنا بحسنكِ يا أوالُ
صفاء تستحمّ به اللّيالي
وسحر لم يصوّره الخيالُ
جنانٌ **بالأماني** زاهراتٌ
تضاحكَ في مرائيها الجمالُ
وشطئانٌ تراءى من بعدٍ
على أمواجها السّحر الحلالُ
تعانقت النّخيلُ على ثراها
فغارت من تعانقها الجبالُ
وباتت ترقب الشّطانَ ليلًا
لتسمع ما تبوح به الرّمالُ
فللأضواء همسٌ مستفيضٌ
تصيخُ له مع الرّؤيا الظّلالُ
وللأمواه في سمع الرّوابي
عزيفٌ للطّبيعة وابتهالُ(1)

النّصّ هنا يفتح باب الذّكريات من خلال التّماهي مع عناصر الطّبيعة الّتي تشكّل ملامح البحرين، في صورة أشبه ما تكون لوحة فنّيّة يعقدها الشّاعر بريشة قوافيه، لتكون تلك التّفاصيل من جِنان وشطئان ونخيل وأضواء وأمواج هي الصّورة الواقعيّة لذلك الجمال الرّوحيّ والحبّ الوجدانيّ، وفي الحقيقة فإنّ "بناء عمود الشّعريّة لديه من مصدرين يتّسمان بالزّخم والاستمرار وهما: الذّاكرة والطّبيعة، وبسبب ارتباطه بحضور هذين الخّطين فقد

(1) آل خليفة، أحمد محمّد: هجير وسراب، 1962، 6.

استمرّت رومانسيّته الشّعريّة حاضرة ومؤثّرة رغم أنّ الحركة الشّعريّة الجديدة في البحرين تجاوزت مرحلتها الرّومانسيّة وانطلقتْ بقوّة نحو مرحلة جديدة ومغايرة"[1].

ويقول في قصيدته (وقفة بين الأطلال):

وقفتُ أشيعُ الفكر في الدّار ذاهلًا
وقد يُذهل المفجوعَ هولُ المصائبِ
وقفتُ بها أرنو لجدرانها الّتي
غدت مرتعًا بعد الرّدى للعناكبِ
فما شمتُ خِلًّا في نواحي ربوعها
ولا فزتُ في تلك الدّروب بصاحبِ
وأفزعني صوتُ الحمائم حولها
تنوحُ وصوتُ البوم مثل النّوادبِ
لقد كنتُ ألهو في ثراها ورملها
غريرًا فكثبان الرّمال ملاعبي
.....
ولما أتيتُ اليومَ أرتاد أرضها
تغيّر لي حتّى جمال الكواكبِ
مرابعها خرساءُ والرّيح حولها
لها صوت ناعٍ دمعه غير ساكبِ
تحجّر دمعي في المآقي تحسّرًا
لأهلٍ مضوا مثل الشّموس الغواربِ[2]

(1) غلوم، إبراهيم: الطّبيعة والذّاكرة، ضمن كتاب: شعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. الطّبيعة والذّاكرة، جامعة البحرين، اللّجنة الثّقافية بكليّة الآداب، البحرين، 2005م، 5.

(2) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 101-102.

إنّ هذا التّقلّب بين التّذكّر الحالم والتحسّر المؤلم، يشكّل حالة من التّنازع الرّوحيّ والنّفسيّ عند **الشّاعر**، حيث يظلّ يراوح بين استدعاء ماضٍ يجد الشّاعر فيه نفسه، ويشعره بالنّشوة والدّفء والأمان، وبين التّحسّر على نفاد ذلك الماضي وانقضائه، وتظلّ هذه الحالة تتكرّر مرارًا وتكرارًا ما استمرّت هذه المشاهدات تداعب الذّاكرة.

إنّ ذلك الحضور الوجدانيّ عند **الشّاعر** لا يعني الغياب عن الواقع وابتعاد الرّؤية عنه، إذ يبدو في الظّاهر أنّ الشّعر الوجدانيّ قد يتعارض مع الواقعيّة، وأنّ الشّاعر الوجدانيّ ينطلق من منطلقات تخييليّة منبترة عن الواقع المعاش، ولعلّ هذا التّصوّر قد يُشْكِل على البعض من حيث اتّصال الغرض الوجدانيّ بالاتّجاه (الرومانسيّ) في الأدب والشّعر، لكن من المهمّ أن ندرك أنّ (الرومانسيّة) تعني في بعض سياقاتها "موقفًا أدبيًّا وفلسفيًّا يتّجه نحو وضع الفرد في مركز الحياة والتّجربة، وهي تمثّل تحوّلًا من الموضوعيّة إلى الذّاتيّة"[1]، فالمعنى هنا أنّ الرّومانسيّة تقوم بتسليط الاهتمام على الذّات قبل الموضوع، فهي إذن لا تلغي الموضوع، وليس من الضّرورة أن تكون خارج الواقع، **إذ** إنّها – بحسب التّعريف الآنف – تضع الفرد في مركز الحياة، أي في بؤرة الواقعيّة؛ لأنّ الحياة هي الواقع برمّته، وعليه فإنّ التّجربة الوجدانيّة **للشّاعر** قائمة على إدراك الواقع والوعي به بكلّ تفاصيله، وما الجانب النّفسيّ سوى تحقيق فطريّ لحاجات ذاتيّة فرضت نفسها في مجال العلاقة بين الإنسان ووطنه، لذلك فإنّنا نلحظ في تلك التّجربة "حرارة الصّراع لتخطّي حالة الإحساس السّلبيّ في سبيل الوصول إلى ما يسمّى ((بالموقف)) في إطار الإحساس الخاصّ بالوطن. والوصول إلى موقف يستلزم... وجود رؤية لمجمل علاقات الواقع وتناقضاته، وكلّما كانت الرّؤية واضحة عميقة لدى الشّاعر كان موقفه أشدّ صلابة وأكثر ثوريّة، أي كان موقفا إيجابيًّا من الوطن والإنسان"[2]، فرؤية **الشّاعر** رؤية واضحة للواقع تجنّبه ذلك الشّعور الفضفاض

(1) فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسّسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين، تونس، 1986، 188.
(2) الهاشميّ، ما قالته النّخلة للبحر، 307.

العائم الّذي لا يمثّل أيّة قيمة اجتماعيّة، بل إنّ إحساسه بالواقع وارتباطه به هو الّذي أدّى إلى تلك الفورة الوجدانيّة.

يقول في قصيدته (زيارة الزّلّاق):

يا قرية الزّلّاق كم لي ملعبٌ
في كلّ ناحيةٍ وكلّ طريقِ
هامت بقلبي الذّكرياتُ ومهجتي
ولهى إلى لقيا أخٍ وصديقِ
واليوم قد ولّى الشّباب وإنّني
من ذكره أبدًا أغصُّ بريقي[1]

الشّاعر هنا في غمرة تذكاره للماضي وانتشائه به، وتألّمه لفقدانه، نجده ينزل إلى الواقع بشكل لافت، يقرّر أنّ الزّمن له أحكامه وأقداره، فقد كبر هو وولّى شباب العمر، إذن هو يعي تمامًا بأنّ ذلك التّبديل والتّغيير هي مسيرة الواقع الّذي لا بدّ منه، وأنّ الأجيال تتعاقب لتأخذ أدوار من قبلها، وكلّ ما خلص إليه أنّه تمنّى أن يعود وسط أولئك الّذين **يحنّ إليهم** ليعيش أيّام الماضي، وطبعًا هذا مستحيل واقعيًّا.

إنّ تلك الممارسة هي ما يُمكن أن يُطلق عليه الواقعيّة النّفسيّة، الّتي تسعى إلى تحليل حالات النّفس الإنسانيّة، وما يزدحم فيها من مشاعر وعواطف هي بالدّرجة الأولى وليدة أحداث الحياة، ونتيجة ما يخلّفه المجتمع في تقلّباته وأحداثه من آثار وجدانيّة في دواخل الشّعراء، فالحضور الوجدانيّ إذن حالة إنسانيّة، "فالإنسان بأطواره المختلفة، بانفعالاته وشهواته وعواطفه وآدميّته، كأنّه المرآة الّتي تنعكس بها صورة القرية وطبيعتها"[2].

ولعلّ من أهمّ سياقات الوجدانيّة الواقعيّة ما يمكن أن نطلق عليه الاستدعاء الجمعيّ، فإذا كنّا قد أشرنا إلى أنّ المسألة الوطنيّة هي مسألة لها طبيعة تاريخيّة، ونتيجة لتراكمات

(1) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 76.

(2) الدّبيسيّ، محمّد إبراهيم: في ذاكرة الصّحراء.. دراسة في نصوص شعريّة سعوديّة معاصرة، ط1: نادي المدينة المنوّرة الأدبيّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1414هـ / 1993م، 51.

قد خلّفها الواقع بكلّ سياقاته المجتمعيّة، فإنّ ما يسمّى باللاشعور الجماعيّ يخترق القضيّة ليشكّل عنصرًا نفسيًّا ووجدانيًّا بحتًا، وذاكرة الفرد بطبيعتها ذاكرة مشتركة، بمعنى أنّ الذّاكرة الجماعيّة هي المكوّن الرّئيس للذّاكرة الفرديّة، على أساس أنّ الفرد جزء لا يتجزّأ من المجتمع حوله، ولذلك يرى علم النّفس السّويسريّ كارل جوستاف يونغ، مؤسّس علم النّفس التّحليليّ أنّ "الشّخصيّة الإنسانيّة لا تقتصر حدودها على التّجربة الفرديّة، وإنّما تمتدّ لتستوعب التّجربة الإنسانيّة للجماعة الموغلة في القدم، وأنّ هذه الشّخصيّة تحتفظ في قرارتها بالنّماذج، والأنماط العليا الّتي تختمر في الثّقافة الإنسانيّة عبر الأجيال المختلفة"(1)، فالذّاكرة الجمعيّة المتراكمة عبر الشّخصيّات المجتمعيّة هي الّتي تصوغ الشّخصيّة الإنسانيّة خلال أزمان مغرقة في القدم، وتقدّم نفسها بوصفها نتاجًا لذلك الثّراء الاجتماعيّ المتمثّل في شخوص أصحاب القيم العليا في المجتمع، و**الشّاعر** يتعرّض لتلك الوجدانيّة الواقعيّة للوطن عن طريق الاستدعاء الجماعيّ، فتبرز عنده الإشارات إلى الضّمير الجمعيّ وذكر الجماعة والأهل والأصدقاء، يقول في قصيدة (بلد الشّراع):

سحرٌ تدفّق في الضّفاف فما ترى
فيها سوى صور الخيال العبقري
تتراقص الأطياف فوق شطوطها
سحرًا وتبتسم المُنى للسُّمَّرِ
قد طال نجوى العاشقين وهزَّهمْ
رملُ الضّفاف وسحر ليل مقمرِ
تمضي **العشيّات** اللّطاف وما دروا
بالليل من همس الحديث المُسكرِ(2)

ويقول في قصيدة "أوال مهد الحبّ والجمال":

إنّي إذا ما انتابني ضيقٌ هفتْ

(1) فضل، صلاح: مناهج النّقد المعاصر، ط1: بريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، م2002م)، 75-76.
(2) آل خليفة، بقايا الغدران، 90-91.

نفسي لطرد الهمّ عند ضفافها
فتطوف روحي في روابيها وقد
تنضو هموم النّفس عند طوافها
وأعود مسرور الخواطر منشدًا
للصّحب ما استلهمت من أكنافها[1]

وحين يحنّ إلى وطنه في قصيدة "في المستشفى" تراه يقرن ذلك بالشّوق إلى الجماعة والأهل، يقول:

ناءٍ عن الأهل لا قلبي يخفّ جوًى
من الحنين ولا صبري بمُحتَمَلِ
مات الغرام ومات الحبّ في كبدي
حتّى نسيتُ **لحونَ** الحبِّ والأملِ
حاولتُ أقتصر التّرحال في سفري
حتّى أعود لدار الصّحب والأهلِ[2]

إنّ الشّاعر يشرك الجماعة معه في التّعبير عن حبّه للوطن والاشتياق إليه بوصفه نوعًا من الاسترداد الجماعيّ الجميل، وذلك يحقّق شيئًا من الطمأنينة والرّضى والرّاحة النّفسيّة حين يشترك معه الآخرون في ذلك الهُيام والحنين. إنّ هذا الاستدعاء الجمعيّ يذكّرنا بالخطاب الشّعريّ الجاهليّ الّذي يبرز فيه بشكل واضح مخاطبة شخص أو أكثر، كقول زهير بن أبي سلمى في خطاب الواحد:

تبَصّرْ خليلي هلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ
تَحَمَّلْنَ بالعَلياءِ مِنْ فوقِ جُرْثُمِ[3]

(1) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 58.
(2) المصدر السّابق، 88.
(3) فاعور، علي حسن: ديوان زهير بن أبي سلمى، ط1: دار الكتب العلميّة، بيروت، 1408هـ - 1988م، 103.

وقول **امرئ** القيس في خطاب الاثنين:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(1)

وقول طرفة بن العبد في خطاب الجماعة:

وُقوفًا بها صحبي على **مَطِيَّهُمْ**
يَقولونَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلّدِ(2)

حيث تبرز من ذلك الحوار الجماعي قيمٌ شعوريّة تتجلّى في الدّفء الوجدانيّ لمشاركة الآخر مشاعر الحبّ والحنين والانتماء، "آملا منهما المشاركة الوجدانيّة لما نزل به من الهموم والآلام التي حلّت به من خلال هجرة الحبيبة وخراب الديّار"(3).

المرأة الوطن:

الوطن والإنسان والمرأة تلازمٌ ثلاثيّ حاضرٌ في المجال الذّاتيّ للشّاعر، والمرأة تبقى ذلك الرّمز الحالم الّذي يشدّ المثاليّات المتخيّلة إلى عالم الواقع والحقيقة، مهما استخدمها الشّعراء في شتّى الرّموز وسياقات التّأويل، فهي ذلك المثال المعادل لمعنى الحياة.

وتظهر من خلال القصائد الّتي وصلتنا تلك المكانة الألمعيّة الّتي تحتلها المرأة من وجدان العربيّ وضميره، لتكون المفتتح عنده في أسمى إنتاج وجدانيّ يشكّله وعيه الفكريّ والثّقافيّ، لدرجة استعداده أن يفنِيَ نفسه في سبيل التّماهي معها عشقًا وحبًّا، كما روي عن سعيد بن عقبة الهمذانيّ أنّه قال لأعرابيّ: ممّن أنت؟ فقال: من قوم إذا عشقوا ماتوا، قال: عذريٌّ

(1) المصطاويّ، عبد الرّحمن: ديوان امرئ القيس، ط2: دار المعرفة، بيروت، 1425هـ - 2004م، 21.

(2) ناصر الدين، مهدي محمّد: ديوان طرفة بن العبد، ط3: المكتبة العلميّة، بيروت، 1423هـ - 2002م، 19.

(3) خضر، عبدالله: الحوار (Dialogue) في الشعر الجاهلي- دراسة أسلوبية. مجلّة بصْريّات، الإثنين 2016/8/29، استُرجعت بتاريخ 2024/8/17 من موقع: https://basrayatha.com/?p=13295

وربّ الكعبة، فقلتُ: وممّ ذلك؟ قال: في نسائنا صباحة، وفي فتياننا عفّة[1]، ولأنّ المرأة في الشّعر العربيّ والإنسانيّ بشكل عامّ هي النّبض الحيّ؛ لا يمكن أن يُقاس تطوّر المسيرة الشّعريّة لأيّ أمّة من الأمم بلا تعرُّض لمستويات تداخل المرأة فيه، وهي تطلُّ من مركز النّصّ بوصفها ظاهرة نابعة من عاطفة الفنّان حين تصل إلى أقصى درجات النّضج الإنسانيّ، ليس فقط عاطفة الحبّ الّتي تقضي بالميل الجسديّ الفطريّ لكلا الطّرفين إلى الآخر، ولكن أيضًا لما تعنيه المرأة من رمزيّة واسعة تكتنف ضمير الشّعراء.

ويتّسع الأمر ليطولَ مساحات أرحب حين نتّجه نحو الموقف الوجدانيّ للشّاعر تجاه المرأة، وذلك عندما تحاكي المشغولَ الفكريّ والنّفسيّ المتراكم في كينونة الشّاعر، هذا الازدحام الثّائر قد يكون محصّلة تراكمات سياسيّة أو اجتماعيّة أو فكريّة أو وجدانيّة (الرّثاء والغربية والحنين إلى الوطن...إلخ) كلّ تلك التّراكمات المنهمرة قد تُكثَّف رمزيًّا في تعابير المرأة، فالفنّان إذا أراد أن يُجسّم أيّ صورة من صور الحياة، وأيّ فكرة من فكر النّفس، ثمّ شاء أن يرتفع بها إلى أوجها، لن يجد أمثل ولا أحكم من أن يمثّلها في قالب امرأة، والتّصوير الحسّيّ يبلغ درجة الفنّ العالي حين لا يقف جامدًا عند الصّور الحسيّة، بل يترك للخيال طريقًا للعمل حول هذه الصّور، ينطلق منه إلى التّأثّر العاطفيّ الوجدانيّ، هذا التّأثّر الوجدانيّ الجامح يتّخذ أبعادًا مختلفة ؛ نظرًا لما تتّسم به الحياة العصريّة من تركيبات متشابكة أملتها الظّروف الحياتيّة المعقّدة، وعليه فرمز المرأة هو الّذي يمنح الشّاعر المعاصر البُعد الإنسانيّ والقيمة الفنّيّة الخلاّقة.

ولئن كانت المرأة هي التّعبير المثاليّ للإنسانيّة والكون والوجود، فإنّ الحديث عن الوطن من خلالها سيكون أمرًا محتومًا، **إذ** تسيطر عاطفة الحبّ في ذلك، على اعتبار أنّ الحبّ هو القاسم المشرك في العلاقة بين الرّمزين، حبّ الوطن الّذي هو الوجه الآخر لحبّ المرأة. إنّ هذا الاستدعاء العاطفيّ لطرفَيْ الحنين نلمسه منذ فجر الشّعر العربيّ، فالشّاعر الجاهليّ غالبًا ما كان يصدّر نصوصه بذكر المرأة ممزوجًا بالوقوف على الأطلال، لأنّ المكان يذكّره

(1) الجريريّ، المعافى بن زكريّا النهروانيّ: الجليس الصّالح الكافي، والأنيس النّاصح الشّافي، دراسة وتحقيق محمّد مرسيّ الخوليّ، ط1: عالم الكتب، بيروت، 1413هـ - 1993م، 2/180-181.

بالحبّ والحنين والماضي واللّقاء والوصال، وجميعها تعلّقات متّصلة بالمرأة، وتداخل صورة المرأة بالأرض والمكان أمرٌ متعاقب ومتوافرٌ في الشّعريّة الإنسانيّة بشكل عامّ، حيث يُعامل الوطن معاملة الأنثى، ويُخاطب المكان بحميميّة المرأة.

وربّما لذلك علاقة بمدى السّكون الرّوحيّ المتقاطع عند كلا الطّرفين، فكما أنّ المرأة هي راحة وصفاء لذات الإنسان، فكذلك الوطن، ولعلّ هذا ما أشارت إليه الآية القرآنيّة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، **إذ** وصفت الآيةُ العلاقة بين المرأة والرجل بالسّكون والرّاحة والطّمأنينة، وهي المشاعر ذاتها الّتي تنتج جرّاء قرب الإنسان من وطنه، وعلى ذلك فمقاربة المرأة بالأرض والوطن تكاد تكون مسألة فطريّة.

وقد بانت العلاقة بين المرأة والوطن في شعر **الشّاعر** جليّةً في العديد من نصوصه، فلا يكاد يذكر وطنه وأماكنه الّتي عاش فيها صغيرًا إلّا وينسلّ من خلالها إلى ذكر الحبيبة وأيام الغرام، يقول في قصيدة (حبّ ووفاء):

كم في "الرّفاعين"[2] آرامٌ مسارحها
في مهجتي وهواها القصد والطّلبُ
وفي "المحرّق"[3] سربٌ للمها تعبتْ
منه الرّماةُ فعادوا بعدما تعبوا
وعاودتني مهاةٌ ما هاتفتُ بها
إلّا لصوت نداها هزّها الطّربُ
أمضيتُ فجر شبابي في الغرام وما
كبا جوادي إذا ما العاشقون كَبُوا
ملاعبٌ للصّبا والذّكريات لها

(1) الرّوم: 21.
(2) يقصد منطقتيّ الرّفاع الشّرقيّ والرّفاع الغربيّ.
(3) المحرّق إحدى أعرق مدن البحرين.

تطير بي حيث تهوى تحتي الشّهبُ[1]

بل حين يحنّ إلى وطنه في قصيدة "المستشفى" وهو يعاني الألمين: ألم الغربة وألم المرض، نجده يعبّر عن تفاقم تلك الآلام في ذاته حين ما يشعر أنّ الحبّ قد مات كذلك:

مات الغرامُ ومات الحبّ في كبدي
حتّى نسيتُ لحون الحبّ والأملِ[2]

لا شكّ أنّ الشّاعر يعيش هنا حالة من التّمازج البائن بين وطنه ومعشوقته، فهو يبحث عن ذلك الحبّ في داخل الحبّ الأكبر، وطنه البحرين. وتبلغ هذه العلاقة أوجها في قصيدة "الحنين إلى الوطن" الّتي تختلط فيها مشاعر الشّوق بين الوطن والمحبوبة، حتّى كأنّ النّصّ يكاد يكون كلّه تغزّلًا بالمحبوبة، وتحسّرًا على مضي الشّباب وانتهاء لذّات الحبّ وفراق الحبيبة، ما يدلّ على أنّ المرأة قد تماهت تمامًا مع الوطن عنده حتّى أصبحا شيئًا واحدًا:

أقول آهٍ وما آهٍ بنافعةٍ
إن صادفتك صروف الدّهرِ بالمحنِ
بمهجتي شادنٌ إن مرّ في خلدي
تدفّق الشّعر مثل العارض الهتنِ
حلو الشّباب مليح في نواظره
من فعل هاروت سحر غير مؤتمنِ
عبدته في الهوى طوعًا وفتنته
تغوي الملائك بالتّسبيح للوثنِ
كم من محبٍّ قضى في الحبّ من زمنٍ
وما شهيد الهوى يومًا بمغتبنِ[3]

(1) آل خليفة، غيوم في الصّيف، 8.
(2) آل خليفة، بقايا الغدران، 90-91.
(3) آل خليفة، أحمد محمّد: غيوم في الصّيف، 92.

ويقول:

يا جنّة **الأحلام** أنتِ من الرّؤى
كُوِّنتِ والدّنيا سديم ثائرُ
إنّي شعرت بحسنك الخافي الّذي
ظهرت محاسنه لمن هو شاعرُ
فثراكِ ملعبيَ الّذي **ألهُو** به
ورباكِ لي – إمّا قصدتُ – منابرُ
.....
أفديه من صادٍ تخفّى وانبرى
حول المياه من الورود يحاذرُ
تتناثر الأحلام من أجفانه
فإذا به وسط الخليج جواهرُ
يدنو لصوت البحر حيث جواره
رِيٌّ لمن هو في الهواجر سادرُ[1]

هذه المراوحة بين المرأة والوطن، هي أثرٌ من ذلك الشّعور اللّامتناهي بالحاجة العاطفيّة الماسّة للوطن، وأنّه يسكن الرّوح والوجدان كما المرأة تمامًا، وأيضا يدلّ على أنّ الوطن بالنّسبة للشّاعر هي حال من الوصال الرّوحيّ الشّجيّ الّذي لا يغيب عن خاطره لحظة واحدة، كمحبوبته الّتي دائمًا ما تعرّش في خاطره وقلبه.

وهنا تبدر سؤالاتنا: هل الشّاعر يشتاق إلى محبوبته أم إلى البحرين؟ من منهما المقصود بخطابه؟ بل أيّها خطاب الأساس وخطاب المجاز؟ إنّ هذه التّساؤلات مبعثها شعور الشّاعر نفسه بأنّ المرأة والوطن هما شيء واحد، وأنّهما حالتان كونيّتان من الضّرورة الوجدانيّة، **إذ**

(1) روضة الشّعر، مجموعة قصائد أمر بجمعها وطبعها صاحب السّموّ الشّيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين المعظّم، ط1: المطابع الحكوميّة لوزارة الإعلام، البحرين، 1401هـ - 1981م، 223/2.

إنّ المرأة قد تماهت مع الوطن، فأصبحت الحالة الشّعريّة نوعًا من التّحليق والبحث عن المثُل، وكأنّ المرأة والوطن كلاهما رمزٌ مطلق، وذلك نظرًا لتلك الطّبيعة المنطوية على اجتذاب السّكن بشقّيه: المرأة والمكان إلى المؤثّر النّفسيّ والرّوحيّ، فتصبح المرأة هي الوطن حين يباشر الشّاعر الحديث إلى الوطن ومخاطبته على أنّه المرأة عينها، فتلتحم رؤيتا العشق والوطن، وتتداخلان مع هموم الإنسان وهواجسه، إذ "يتحوّل الشّاعر إلى جسد والوطن إلى قلب، الوطن في جسد الشّاعر يحتمي داخله، يمتزج بدمه، يُرسل أحلامه عبر عينيه"(1).

وحضور المرأة في تقاطيع الوطن عند **الشّاعر** يتّخذ شكلين رئيسين: واقعيّ، "فعلى مستوى الواقع فإنّ المرأة – الحبيبة، الزّوجة، الأمّ، الإنسانة تعيش في الوطن، وإن كانت في مساحة أخرى من الوطن"(2)، وهنا يكون التصاق المرأة بالوطن هو التصاق بطبيعته، وإسقاط لملامح المرأة الفاتنة على ملامح الوطن الآسر، يقول في قصيدته "إنّني أذكر":

إنّني أذكر يا عصر هنائي
سكرتي فيك وحبّي وغنائي
وعشيّاتٍ على وادي الهوى
ذكرها يعبق طيبًا في سمائي
أين يا وادي الهوى أيّامنا
وحكايانا بأيّام الصّفاءِ
.....
أتملّى ربوةً كانت لنا
معبدًا للحبّ في عصر الهناءِ
أتملّاها وقلبي ضارعٌ

(1) البازعيّ، سعد: ثقافة الصّحراء، ط1: المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، 2004، 106.

(2) الهاشميّ، علويّ: ضفّتان لنهر واحد ... دراسة نظريّة وتطبيقيّة في شعر البحرين المعاصر، ط2: مطبوعات وزارة شؤون الإعلام، البحرين، 2020م، 223.

بابتهالاتي وشعري ودعائي
فإذا مدّيتُ فيها أذرعي
لم أجد من حولها شيئًا إزائي
وإذا ناديتُ من أهوى بها
ضاع في صمت العشيّات ندائي[1]

نلاحظ أنّ الشّاعر يبكي على محبوبته ومن كان يهوى وهو واقف في الوادي يتملّى الرّبوة الّتي تحمل ذكريات حبّه، ليصبح ذلك المكان المشكّل لملامح الوطن مشكّلًا أيضًا لملامح محبوبته في ذاكرته ووجدانه، كما تدلّ على تمكّن محبوبته من تلك الأمكنة/الوطن، ومن ثَمّ على تشوّقه العميق، وكلٌّ يدلّ على ارتباط المرأة بالمكان، والوطن هو ارتباط جينيّ يحوّل الوطن إلى رمز فنّيّ ويخرجه من سياقه الطبيعيّ، فتكون المعادلة مبتكرة نسبيًّا، فالرّمزيّة الّتي كانت تنبع من وراء الحديث عن المرأة وتعلّقها بالمكان، أصبحت تشدّ المكان نفسه إلى رمزيّتها الفسيحة، ليحمل الوطن مدلولات الحريّة والحبّ والارتباط بالأرض.

أمّا الشّكل الآخر لحضور المرأة لدى **الشّاعر** فهو الشّكل الرّمزيّ، إذ إنّ الوطن والمكان والطّبيعة لا تكون لها خصوصيّة أو بيئة؛ "لأنّ المرأة تجرّها خلف أبعادها الرّمزيّة الّتي سرعان ما يطفو على سطحها الموقف الفكريّ قبل الموقف العاطفيّ"[2]، لتتّخذ أنساقًا مختلفة في التّعبير تتّسم بعلاقات جدليّة مغرقة، إذ الانصهار الوثيق بين المرأة والوطن، والتّداخل الصّارخ بين مكوّناتهما الصّوريّة والنّفسيّة هي المحرّكات الحتميّة الّتي تدعو إلى ذلك التّماهي، ليتبيّن لنا أنّ هذا التّمازج هو تركيب يمدُّ الأفق الهائل للوجدان الّذي يمازج خاطر الشّاعر، فحبّه لأرضه ، كحبّه للمرأة الّتي يعشق، إنّه في الواقع يحاول أن يبحث في وطنه عن المرتكز الأكثر تماسًّا لنفسه كي يقف عليها ليحاوره، إذ المرأة هي المكوّن الأقدر على استحلاب خباياه واستثارته بلا ريب، وبهذا التّشبّث بالتّداعيات الرمزية للمرأة يبني الشّاعر جسور العبور للالتحام شعوريًّا بالوطن والكون من حوله، إذ إنّه "من صلب العاطفة العميقة نحو

(1) آل خليفة، بقايا الغدران، 34.
(2) الهاشميّ، ضفّتان لنهر واحد، 229.

المرأة، يتولّد الإحساس لدى الشّاعر بما حوله: بالنّاس، بالعلاقات الاجتماعيّة، بالوطن"[1]، خصوصًا وأنّ الشّاعر يحاول أن يمزج بين مشاعر الحب والعشق، والألم والحرمان، أي بين عنصر المرأة والعنصر الآخر، فصورة المرأة أكثر حميميّةً وقربًا للذّات، فالارتباط النّفسيّ بها وما ينتج عن ذلك من معاني الرّاحة والقرب والعطف هي ما يجده الشّاعر في وطنه، فكأنّها وطنٌ صغيرٌ للإنسان يحنّ إليه ويلوذ به وقت الضّيق، ويحسّ به وقت الخطر، ويبثّه الشّكوى ساعة الهمّ، ولعلّ هذا التّعبير هو أقرب التّعابير أُنسًا، وألصقها وصفًا، ولذلك فقد كثر في شعر الشّعراء عامّة.

يقول في قصيدة (مناجاة):

أين منّي منازلٌ بعدت عن مدى النّظرْ
وتناءت وذكرها يشغل القلب ما خطرْ
ذكّريني بعهدها ربما تسعد الذِّكَرْ
أما لولاك ما عرفتُ اللّذاذات والسّمرْ
نحن لو تعلمين دنيا بها يحلم القدرْ
ونشيد محبّبٌ ضاع من معزف السّحرْ[2]

في هذا التّصوير تتماهى دلالات الحبّ وتراكماته النّفسيّة، وما يخلّفه من حلاوة أو عذاب. إنّ **الشّاعر** قد جعل همّه الخاصّ بالمرأة يوازي همّه العامّ بالوطن، ويرتبط به ويتداخل معه. وهذا الارتباط بين الحبيبة والوطن أساسه وعيُ الشّاعر بدور المرأة الفعّال في تحرير الوطن من أيّ شائبة تشوبه، وأنّ الحبيبة صورةٌ لتحرّر الوطن واستقلاله، وهنا تبدو الرّمزيّة أكثر اتّساعًا من مجرّد المقارنة الرّوحيّة بين الوطن والمرأة، لتنطلق إلى مساحات البحث عن التّحرّر والتّطوّر، والمرأة في ذلك هي المقياس الأسمى، فالوطن المتحرّر تظهر حرّيّته في شخص المرأة، فهو صورتها، وهي مقياسه.

(1) الهاشميّ، ما قالته النّخلة للبحر، 155.
(2) آل خليفة، من أغاني البحرين، 71.

الخاتمة

إنّ نصوص الشّاعر أحمد محمّد آل خليفة الوطنيّة تجلّت فيها العديد من السّياقات الوجدانيّة العميقة الّتي انبثقت من خلال التجربة الشّعريّة الخاصّة به، الّتي هي نتاج لمشاعر واعية تجاه وطنه وأرضه، وتمثّلت بكلّ صدق في مجموع نصوصه تلك، ممّا يحدونا إلى مزيد من التّأمّل والقراءة والنظر فيها.

وقد خلصت الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

1. كان الوطن بمعناه الضيّق والواسع، والحقيقيّ والمجازيّ، حاضرًا في وجدان الشّاعر في كلّ لحظة من حياته، ومن ثمّ فإنّه كان **حاضرًا** أيضًا في أغلب نصوصه الشّعريّة، حتّى في بعض القصائد غير الوطنيّة.
2. مَثّل الوطن بالنّسبة للشّاعر جزءًا لا يتجزّأ من كيانه الخاصّ؛ لذلك فقد سعى لأن يثبت التزامه بإخلاصه له، والسّعي لفدائه، وتكريس التشارك الكونيّ بينهما.
3. لم ينقطع الشّاعر عن واقعه، على الرّغم من هيامه الكبير بذكريات الماضي في وطنه، وعلى الرّغم من عمق الوجدانيّة الطّافر من جميع نصوصه، وعمق النوستاليجيا البارزة فيها، خصوصا وهو يخاطب الجماعة في محاولة لاستدعاء الذّاكرة الجماعيّة وذلك لتشكيل ذاكرته الخاصّة به، والشعور بالدّفء والأمن معها.
4. استخدم الشّاعر رمز المرأة بشكل واسع للتّعبير الوجدانيّ عن وطنه، فلا يكاد يتحدّث عن الوطن وعن تفاصيله الجزئيّة وأمكنته الحيّة ومرابع صباه إلّا ويستحضر تفاصيلَ المرأة، بل إنّه في حديثه عن المرأة في نصوصه الغزليّة كثيرًا ما يجول النّظر في تفاصيل وطنه وأماكن ذكرياته، ويصل هذا الاستخدام في بعض الأحيان إلى حدّ التّماهي بين المرأة والوطن **فكأنّهما** شيء واحد.

المصادر والمراجع:

إسماعيل، عزّ الدّين: الشّعر العربيّ المعاصر.. قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة، ط3: دار الفكر العربيّ، بيروت.

البازعيّ، سعد: ثقافة الصّحراء، ط1: المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، 2004.

الجدع، أحمد: إبراهيم العريّض شاعر من البحرين، ط3: دار الضّياء للنّشر والتّوزيع، الأردن، 1407هـ - 1986م.

الجريريّ، المعافي بن زكريّا النهروانيّ: الجليس الصّالح الكافي، والأنيس النّاصح الشّافي، دراسة وتحقيق محمّد مرسيّ الخوليّ، ط1: عالم الكتب، بيروت، 1413هـ - 1993م.

الحادي، إبراهيم محمّد: قدسيّات الشّاعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة، ط2: حقوق الطّبع للمؤلّف، البحرين، 1430هـ - 2009م.

حسن، عبدالحفيظ: الرّومانسيّة في الشّعر العربيّ المعاصر.. أبو القاسم الشّابّيّ أنموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.

خضر، عبدالله: الحوار (Dialogue) في الشعر الجاهلي- دراسة أسلوبية. مجلّة بَصْريّات، الإثنين 2016/8/29، استُرجعت بتاريخ 2024/8/17 من موقع: https://basrayatha.com/?p=13295

آل خليفة، أحمد محمّد: بقايا الغدران، المطبعة الشّرقية، البحرين.

آل خليفة، أحمد محمّد: غيوم في الصّيف، ط1: المطابع الحكوميّة لوزارة الإعلام، البحرين، 1988م.

آل خليفة، أحمد محمّد: من أغاني البحرين، ط1: دار الكشّاف للطّباعة والنّشر، بيروت، 1955م.

آل خليفة، أحمد محمّد: هجير وسراب، 1962.

خليل، أحمد محمود: في النّقد الجماليّ .. رؤية في الشّعر الجاهليّ، ط1: دار الفكر المعاصر، بيروت، 1417هـ - 1996م.

الدّبيسيّ، محمّد إبراهيم: في ذاكرة الصّحراء.. دراسة في نصوص شعريّة سعوديّة معاصرة، ط1: نادي المدينة المنوّرة الأدبيّ، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1414هـ / 1993م.

روضة الشّعر، مجموعة قصائد أمر بجمعها وطبعها صاحب السّموّ الشّيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين المعظّم، ط1: المطابع الحكوميّة لوزارة الإعلام، البحرين، 1401هـ - 1981م.

ابن زكريّا، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السّلام هارون، ط1: دار الجيل، بيروت، 1411هـ - 1991م.

الزّيد، إبراهيم عبد العزيز: نوستالجيا الشّعر، صحيفة ميديل إيست أون لاين، الأحد 2021/2/14، استُرجعت بتاريخ 2024/8/15 من موقع: https://n9.cl/cwjtz

سرحان، منصور محمّد: الشّيخ أحمد محمّد آل خليفة .. شاعر الطّبيعة والجمال، ط1: اللّجنة الأهليّة لتكريم روّاد الفكر والإبداع في مملكة البحرين، البحرين، 2003م.

سرحان، منصور محمّد: معجم المؤلّفين البحرينيّين، ط1: مركز عيسى الثّقافيّ، البحرين، 1433هـ - 2012م.

السّكّريّ، أبو سعيد: ديوان الهذليّين، تحقيق مجموعة من المحقّقين، ترتيب وتعليق محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1385هـ - 1965م.

الشّابّيّ، أبو القاسم: ديوان أغاني الحياة، ط1: دار الكتب الشرقيّة ودار ومصر للطّباعة، القاهرة، 1955.

شباط، عبد الله محمّد: أدباء وأدبيات من الخليج العربيّ، ط2: الدّار الوطنيّة الجديدة للنّشر والتّوزيع، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1420هـ - 1999م.

الشّربينيّ، لطفي: معجم مصطلحات الطّبّ النّفسيّ، مركز تعريب العلوم الصّحيّة ومؤسّسة الكويت للتّقدّم العلميّ، الكويت.

أبو شعير، الرّشيد: الشّعر العربيّ الحديث في منطقة الخليج، ط1: دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق وبيروت، 1418هـ - 1997م).

الصّدّيقيّ، عبدالنّاصر محمّد: القاضي الأديب الشّيخ يوسف بن أحمد الصّدّيقيّ، ط1: مركز عيسى الثّقافيّ، البحرين، 2021م.

الطّائيّ، عبدالله محمّد: الأدب المعاصر في الخليج العربيّ، ط1: فضاءات للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردنّ، 2016م.

ابن طباطبا، أبو الحسن محمّد بن أحمد: عيار الشّعر، تحقيق عبّاس عبد السّاتر، ط1: دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ - 1982م.

طرّاد، مجيد ديوان أبي القاسم الشّابيّ ورسائله، ط2: دار الكتاب العربيّ، بيروت، 1415هـ - 1994م.

عبد النّور، جبور: المعجم الأدبيّ، ط1: دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

العمّاريّ، مبارك عمرو: ديوان الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. شعر نبطيّ، ط1: المطبعة الحكوميّة بهيئة شؤون الإعلام، البحرين، 2012م.

غلوم، إبراهيم عبدالله: القصّة القصيرة في الخليج العربيّ، الكويت والبحرين .. دراسة نقديّة تأصيليّة، ط2: المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 2000م.

غلوم، إبراهيم: الطّبيعة والذّاكرة، ضمن كتاب: شعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. الطّبيعة والذّاكرة، جامعة البحرين، اللّجنة الثّقافية بكليّة الآداب، البحرين، 2005م.

فاعور، علي حسن: ديوان زهير بن أبي سلمى، ط1: دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ - 1988م.

فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسّسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين، تونس، 1986.

فضل، صلاح: مناهج النّقد المعاصر، ط1: ميريت للنّشر والمعلومات، القاهرة، 2002م.

القطّ، عبد القادر: الاتّجاه الوجدانيّ في الشّعر العربيّ المعاصر، مكتبة الشّباب، القاهرة، 1986م.

مجمع اللّغة العربيّة: المُعجم الفلسفيّ، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، 1403هـ - 1983م.

المحادين، عبدالحميد: صورة الوطن في شعر أحمد محمّد آل خليفة، ضمن كتاب: شعر الشّيخ أحمد بن محمّد آل خليفة .. الطّبيعة والذّاكرة، جامعة البحرين، اللّجنة الثّقافية بكليّة الآداب، البحرين، 2005م.

المصطاويّ، عبد الرّحمن: ديوان امرِئ القيس، ط2: دار المعرفة، بيروت، 1425هـ-2004م.

مندور، محمّد: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة.

مندور، محمّد: فنّ الشّعر، مؤسّسة هنداويّ، المملكة المتّحدة، 2017م.

مندور، محمّد: في الميزان الجديد، مؤسّسة هنداويّ، المملكة المتّحدة، 2017م.

ابن منظور، جمال الدّين: لسان العرب، ط3: دار صادر، بيروت، 1414هـ -1994م.

ميخائيل، مطانيوس: دراسات في الشّعر العربيّ الحديث، ط1: المكتبة العصريّة، بيروت، 1968م.

ناصر الدين، مهدي محمد: ديوان طرفة بن العبد، ط3: المكتبة العلميّة، بيروت، 1423هـ- 2002م.

الهاشميّ، علويّ شعراء البحرين المعاصرون .. كشّاف تحليليّ مصوّر، ط1: حقوق الطّبع والنشّر والتّوزيع محفوظة للمؤلّف، البحرين، 1988م.

الهاشميّ، علويّ: ضفّتان لنهر واحد .. دراسة نظريّة وتطبيقيّة في شعر البحرين المعاصر، ط2: مطبوعات وزارة شؤون الإعلام، البحرين، 2020م.

References:

ʿAbd al-Nūr, Jabbūr. *Al-Muʿjam al-Adabī* (The Literary Dictionary). 1st ed. Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, 1979.

Abū Shuʿayr, al-Rashīd. *Al-Shiʿr al-ʿArabī al-Ḥadīth fī Minṭaqat al-Khalīj* (Modern Arabic Poetry in the Gulf Region). 1st ed. Damascus and Beirut: Dār al-Fikr and Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, 1997.

Āl Khalīfah, Aḥmad Muḥammad. *Baqāyā al-Ghadrān* (Remains of the Brooks). Al-Maṭbaʿah al-Sharqiyyah, Bahrain.

Āl Khalīfah, Aḥmad Muḥammad. *Ghuyūm fī al-Ṣayf* (Clouds in Summer). 1st ed. Al-Maṭābiʿ al-Ḥukūmiyyah li-Wizārat al-Iʿlām, Bahrain, 1988.

Āl Khalīfah, Aḥmad Muḥammad. *Hajīr wa-Sarāb* (Noon Heat and Mirage), 1962.

Āl Khalīfah, Aḥmad Muḥammad. *Min Aghānī al-Baḥrayn* (From the Songs of Bahrain). 1st ed. Beirut: Dār al-Kashshāf li-al-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, 1955.

Al-ʿAmmārī, Mubārak ʿAmrū. *Dīwān al-Shaykh Aḥmad ibn Muḥammad Āl Khalīfah: Shiʿr Nabṭī* (The Diwan of Sheikh Ahmad bin Muhammad Al Khalifa: Nabati Poetry). 1st ed. Bahrain: al-Maṭbaʿah al-Ḥukūmiyyah bi-Hayʾat Shuʾūn al-Iʿlām, 2012.

Al-Bāzʿī, Saʿd. *Thaqāfat al-Ṣaḥrāʾ* (Desert Culture). 1st ed. Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 2004.

Al-Dabīsī, Muḥammad Ibrāhīm. *Fī Dhākirat al-Ṣaḥrāʾ: Dirāsah fī Nuṣūṣ Shiʿriyyah Saʿūdiyyah Muʿāṣirah* (In the Memory of the Desert: A Study in Contemporary Saudi Poetic Texts). 1st ed. Saudi Arabia: Nādi al-Madīnah al-Munawwarah al-Adabī, 1993.

Al-Ḥādī, Ibrāhīm Muḥammad. *Qudsiyyāt al-Shāʿir al-Shaykh Aḥmad ibn Muḥammad Āl Khalīfah* (The Sacred Poems of Sheikh Ahmad bin Muhammad Al Khalifa). 2nd ed. [Self-published], Bahrain, 2009.

Al-Hāshimī, ʿAlawī. *Ḍaffatān li-Nahrin Wāḥid: Dirāsah Naẓariyyah wa-Taṭbīqiyyah fī Shiʿr al-Baḥrayn al-Muʿāṣir* (Two Banks of One River: A Theoretical and Applied Study in Contemporary Bahraini Poetry). 2nd ed. Bahrain: Publications of the Ministry of Information Affairs, 2020.

Al-Hāshimī, ʿAlawī. *Shuʿarāʾ al-Baḥrayn al-Muʿāṣirūn: Kashshāf Taḥlīlī Muṣawwar* (Contemporary Bahraini Poets: An Analytical Illustrated Index). 1st ed. [Self-published], Bahrain, 1988.

Al-Jadʿ, Aḥmad. *Ibrāhīm al-ʿArīḍ Shāʿir min al-Baḥrayn* (Ibrahim al-Arayedh: A Poet from Bahrain). 3rd ed. Jordan: Dār al-Ḍiyāʾ lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1986.

Al-Jurayrī, al-Muʿāfá ibn Zakariyyā al-Nahrawānī. *Al-Jalīs al-Ṣāliḥ al-Kāfī wa-al-Anīs al-Nāṣiḥ al-Shāfī* (The Sufficient Righteous Companion and the Advising, Healing Friend). Study and editing by Muḥammad Mursī al-Khūlī. 1st ed. Beirut: ʿĀlam al-Kutub, 1993.

Al-Maḥādīn, ʿAbd al-Ḥamīd. "Ṣūrat al-Waṭan fī Shiʿr Aḥmad Muḥammad Āl Khalīfah" (The Image of the Homeland in the Poetry of Ahmad Muhammad Al Khalifa). In *Shiʿr al-Shaykh Aḥmad ibn Muḥammad Āl Khalīfah: Al-Ṭabīʿah wa-al-Dhākirah,* University of Bahrain, Cultural Committee of the Faculty of Arts, Bahrain, 2005.

Al-Muṣṭawī, ʿAbd al-Raḥmān. *Dīwān Imruʾ al-Qays* (The Diwan of Imru' al-Qays). 2nd ed. Beirut: Dār al-Maʿrifah, 2004.

Al-Qaṭṭ, ʿAbd al-Qādir. *Al-Ittijāh al-Wijdānī fī al-Shiʿr al-ʿArabī al-Muʿāṣir* (The Emotional Trend in Contemporary Arabic Poetry). Cairo: Maktabat al-Shabāb, 1986.

Al-Shābbī, Abū al-Qāsim. *Dīwān Aghānī al-Ḥayāh* (The Songs of Life Collection). 1st ed. Cairo: Dār al-Kutub al-Sharqiyyah and Dār Miṣr li-al-Ṭibāʿah, 1955.

Al-Shirbīnī, Luṭfī. *Muʿjam Muṣṭalaḥāt al-Ṭibb al-Nafsī* (Dictionary of Psychiatric Terms). Kuwait: Markaz Taʿrīb al-ʿUlūm al-Ṣiḥḥiyyah and Muʾassasat al-Kuwayt li-al-Taqaddum al-ʿIlmī.

Al-Ṣiddīqī, ʿAbd al-Nāṣir Muḥammad. *Al-Qāḍī al-Adīb al-Shaykh Yūsuf ibn Aḥmad al-Ṣiddīqī* (The Judge and Writer Sheikh Yusuf bin Ahmed Al-Siddiqi). 1st ed. Bahrain: Markaz ʿĪsá al-Thaqāfī, 2021.

Al-Sukkarī, Abū Saʿīd. *Dīwān al-Hudhaliyyīn* (The Diwan of the Hudhayl Poets). Edited by a group of scholars, arranged and annotated by Muḥammad Maḥmūd al-Shanqīṭī. Cairo: al-Dār al-Qawmiyyah li-al-Ṭibāʿah wa-al-Nashr, 1965.

Al-Ṭāʾī, ʿAbd Allāh Muḥammad. *Al-Adab al-Muʿāṣir fī al-Khalīj al-ʿArabī* (Contemporary Literature in the Arabian Gulf). 1st ed. Amman: Faḍāʾāt lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2016.

Al-Zayd, Ibrāhīm ʿAbd al-ʿAzīz. "Nūstāljiā al-Shiʿr" (The Nostalgia of Poetry). *Ṣaḥīfat Mīdīl Īst Onlāyn*, February 14, 2021. Accessed August 15, 2024. https://n9.cl/cwjtz.

Faḍl, Ṣalāḥ. *Manāhij al-Naqd al-Muʿāṣir* (Methods of Contemporary Criticism). 1st ed. Cairo: Mirit lil-Nashr wa-al-Maʿlūmāt, 2002.

Fatḥī, Ibrāhīm. *Muʿjam al-Muṣṭalaḥāt al-Adabiyyah* (Dictionary of Literary Terms). Tunis: al-Muʾassasah al-ʿArabiyyah lil-Nāshirīn al-Muttaḥidīn, 1986.

Fāʿūr, ʿAlī Ḥasan. *Dīwān Zuhayr ibn Abī Sulmá* (The Diwan of Zuhayr ibn Abi Sulma). 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1988.

Ghulūm, Ibrāhīm ʿAbd Allāh. *Al-Qaṣṣah al-Qaṣīrah fī al-Khalīj al-ʿArabī: Al-Kuwayt wa-al-Baḥrayn, Dirāsah Naqdiyyah Taʾṣīliyyah* (The Short Story in the Arabian Gulf: Kuwait and Bahrain, A Foundational Critical Study). 2nd ed. Beirut: al-Muʾassasah al-ʿArabiyyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, 2000.

Ghulūm, Ibrāhīm. "Al-Ṭabīʿah wa-al-Dhākirah" (Nature and Memory). In *Shiʿr al-Shaykh Aḥmad ibn Muḥammad Āl Khalīfah: Al-Ṭabīʿah wa-al-Dhākirah*, University of Bahrain, Cultural Committee of the Faculty of Arts, Bahrain, 2005.

Ḥasan, ʿAbd al-Ḥafīẓ. *Al-Rūmānsiyyah fī al-Shiʿr al-ʿArabī al-Muʿāṣir: Abū al-Qāsim al-Shābbī Namūdhajan* (Romanticism in Contemporary Arabic Poetry: Abu al-Qasim al-Shabbi as a Model). Cairo: Maktabat al-Ādāb, 2009.

Ibn Fāris, Aḥmad ibn Zakariyyā. *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah* (Dictionary of Language Measures). Edited by ʿAbd al-Salām Hārūn. 1st ed. Beirut: Dār al-Jīl, 1991.

Ibn Manẓūr, Jamāl al-Dīn. *Lisān al-ʿArab* (The Tongue of the Arabs). 3rd ed. Beirut: Dār Ṣādir, 1994.

Ibn Ṭabāṭabā, Abū al-Ḥasan Muḥammad ibn Aḥmad. *ʿIyār al-Shiʿr* (The Standard of Poetry). Edited by ʿAbbās ʿAbd al-Sāṭir. 1st ed. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1982.

Ismāʿīl, ʿIzz al-Dīn. *Al-Shiʿr al-ʿArabī al-Muʿāṣir: Qaḍāyāhu wa-ẓawāhiruhu al-fanniyyah wa-al-maʿnawiyyah* (Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Artistic and Semantic Phenomena). 3rd ed. Beirut: Dār al-Fikr al-ʿArabī.

Khaḍr, ʿAbd Allāh. "Al-Ḥiwār (Dialogue) fī al-Shiʿr al-Jāhilī: Dirāsah Aslūbiyyah" (Dialogue in Pre-Islamic Poetry: A Stylistic Study). *Majallat Baṣriyyāt*, August 29, 2016. Accessed August 17, 2024. https://basrayatha.com/?p=13295.

Khalīl, Aḥmad Maḥmūd. *Fī al-Naqd al-Jamālī: Ruʾyah fī al-Shiʿr al-Jāhilī* (On Aesthetic Criticism: A Vision in Pre-Islamic Poetry). 1st ed. Beirut: Dār al-Fikr al-Muʿāṣir, 1996.

Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah (Academy of the Arabic Language). *Al-Muʿjam al-Falsafī* (The Philosophical Dictionary). Cairo: al-Hayʾah al-ʿĀmmah li-Shuʾūn al-Maṭābiʿ al-Amīriyyah, 1983.

Mandūr, Muḥammad. *Al-Adab wa-Madhāhibuh* (Literature and Its Schools). Cairo: Nahḍat Miṣr li-al-Ṭibāʿah wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Mandūr, Muḥammad. *Fann al-Shiʿr* (The Art of Poetry). United Kingdom: Hindawi Foundation, 2017.

Mandūr, Muḥammad. *Fī al-Mīzān al-Jadīd* (In the New Scale). United Kingdom: Hindawi Foundation, 2017.

Maṭāniyūs Mīkhāʾīl. *Dirāsāt fī al-Shiʿr al-ʿArabī al-Ḥadīth* (Studies in Modern Arabic Poetry). 1st ed. Beirut: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah, 1968.

Nāṣir al-Dīn, Mahdī Muḥammad. *Dīwān Ṭarafah ibn al-ʿAbd* (The Diwan of Tarafah ibn al-Abd). 3rd ed. Beirut: al-Maktabah al-ʿIlmiyyah, 2002.

Rawḍat al-Shiʿr (The Garden of Poetry). A collection commissioned by His Highness Sheikh ʿĪsá ibn Salmān Āl

Khalīfah, the esteemed Amir of Bahrain. 1st ed. Al-Maṭābiʿ al-Ḥukūmiyyah li-Wizārat al-Iʿlām, Bahrain, 1981.

Sarḥān, Manṣūr Muḥammad. *Al-Shaykh Aḥmad Muḥammad Āl Khalīfah: Shāʿir al-Ṭabīʿah wa-al-Jamāl* (Sheikh Ahmad Muhammad Al Khalifa: Poet of Nature and Beauty). 1st ed. Bahrain: al-Lajnah al-Ahliyyah li-Takrīm Ruwwād al-Fikr wa-al-Ibdāʿ, 2003.

Sarḥān, Manṣūr Muḥammad. *Muʿjam al-Muʾallifīn al-Baḥrayniyyīn* (Dictionary of Bahraini Authors). 1st ed. Bahrain: Markaz ʿĪsá al-Thaqāfī, 2012.

Shabbāṭ, ʿAbd Allāh Muḥammad. *Udabāʾ wa-Adībāt min al-Khalīj al-ʿArabī* (Male and Female Writers from the Arabian Gulf). 2nd ed. Saudi Arabia: al-Dār al-Waṭaniyyah al-Jadīdah lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 1999.

Ṭarrād, Majīd. *Dīwān Abī al-Qāsim al-Shābbī wa-Rasāʾiluh* (The Diwan of Abu al-Qasim al-Shabbi and His Letters). 2nd ed. Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿArabī, 1994.